سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (43) | 15 / 7 /2012 | أسبوعية | تصدر عن شباب سوري حر

الجولان وفلسطين.. في قلب ثورتنا

غرافيتي على جدار الفصل العنصري في رام الله

المراقبون: الأسد استخدم الطائرات في مذبحة التريمسة

أكدوا على أن القصف استهدف المساجد والعيادات وقاموا بتوثيق شهادات أهل القرية

أكد المراقبون الدوليون في سوريا أن ما جرى في قرية التريمسة ما هو إلا امتداد لعملية جوية نفذتها القوات الجوية السورية.

كما عمل المراقبون - خلال تفقدهم ومعاينة أماكن القصف في قرية التريمسة بريف حماة وسط البلاد والذي خلف أكثر من 150 قتيلا - على توثيق شهادات أهالي القرية، مؤكدين في الوقت ذاته أن القصف البري والجوي استهدف المنازل والمساجد والعيادات.

وأكد المراقبون على أن الوضع في محافظة حماة لا يزال حرجا، إذ تواصل القوة الجوية السورية استهداف المناطق المأهولة شمالي مدينة حماة بشكل مكثف، مشيرين إلى أنهم شاهدوا مروحيات عسكرية قامت إحداها باطلاق صواريخ.

من جانبها أكدت المتحدثة باسم بعثة المراقبين سوسن غوشة - أثناء ردها على أسئلة لفرانس برس - أن "وفدا من المراقبين توجه إلى التريمسة للتحقق مما جرى وقد تمكنوا من دخول البلدة"، موضحة أن الموكب "تألف من 11 مركبة".

وأضافت غوشة "علمنا بالأمس أنه كان هناك وقف لإطلاق النار، لذا أرسلنا دورية إلى التريمسة في مهمة استطلاعية قامت بتقييم الوضع".

وكان المرصد السوري لحقوق الإنسان أفاد أن القوات النظامية قصفت الخميس الماضي بلدة التريمسة في هجوم بالدبابات والمروحيات، ما أدى إلى مقتل أكثر من 150 شخصا، بينما أعلن الجيش السوري من جهته أنه قتل عددا كبيرا من "الإرهابيين" في التريمسة، نافيا قتل أي مدني.

ويصعب التأكد من عدد القتلى من مصدر مستقل منذ توقفت الأمم المتحدة عن إحصاء الضحايا في أواخر العام 2011، بينما يتعذر تقصي الحقائق الميدانية والأمنية بسبب القيود المفروضة على حركة الصحافيين.

الأردن متردد بشأن مخيمات اللاجئين

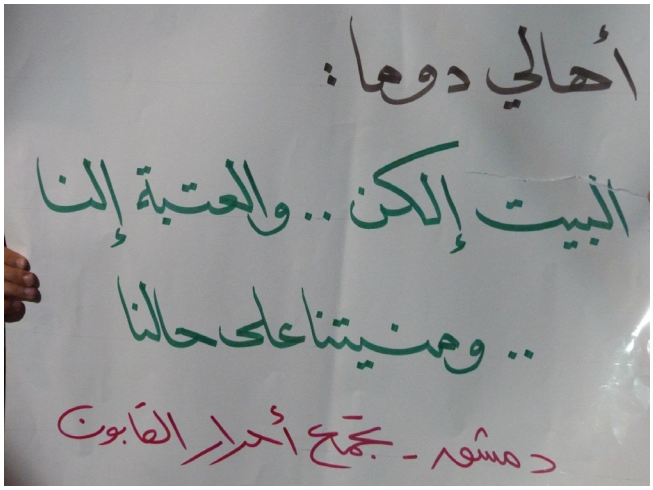

ينعكس الارتباك في الموقف الرسمي الأردني بشأن كيفية التعامل سياسيا مع الملف السوري، على القرارات المتعلقة بإنشاء مخيمات للاجئين السوريين في محافظتي المفرق والرمثا الحدوديتين مع سوريا.

وبينما قامت آليات تابعة لوزارة الأشغال الأردنية بتجهيز موقع مخيم في منطقة رباع السرحان بمحافظة المفرق لصالح المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، لم تمنح وزارة الداخلية الأردنية حتى الآن ترخيصا لافتتاح المخيم واستقبال اللاجئين فيه.

وينطبق ذات الوضع على مخيمين آخرين كانت جمعية الكتاب والسنة تنوي تجهيزهما في منطقتي الرمثا والمفرق بالتعاون مع الهيئة الخيرية الهاشمية (جهة رسمية) وبتمويل من جهات خيرية سعودية وخليجية، حيث كشفت مصادر أن الحكومة الأردنية لم تسمح حتى الآن بافتتاحهما لاستقبال اللاجئين حتى الآن.

وقال مصدر مطلع إنه لا موافقة أمنية على افتتاح المخيمات على الحدود السورية مع الأردن.

ونقل المصدر عن مسؤولين أردنيين أن تقديرات أمنية وعسكرية نصحت الحكومة بالتريث قبل افتتاح مخيمات للاجئين السوريين، والاكتفاء الآن باستقبالهم وتوزيعهم على المدن الأردنية.

وحسب المصدر الذي فضل عدم ذكره، فإن التقديرات الأمنية لا تزال متحفظة على تجميع آلاف اللاجئين السوريين في مكان واحد، وهو ما قد يخلق مشكلات كبيرة.

مراكز التجمع

ولا يقتصر وجود نحو 25 ألف لاجئ سوري في الأردن -وفق تقديرات جمعيات أهلية- و4200 لاجئ مسجل لدى المفوضية العليا لشؤون اللاجئين، إضافة إلى نحو 50 ألف سوري لا يصنفون في عداد اللاجئين، على المدن الحدودية مع سوريا.

وتكشف سجلات جمعيات الكتاب والسنة والمركز الإسلامي والهلال الأحمر أن التجمع الرئيسي للاجئين السوريين في الأردن هو العاصمة عمان وخاصة في وسطها. وتتواجد 500 عائلة سورية في مناطق غور الصافي جنوب الأردن تعيش داخل خيام في أجواء قاسية.

وقال رئيس جمعية الكتاب والسنة زايد حماد إن هذه عائلات عمال سوريين يحضرون إلى الأردن في مواسم قطاف بعض المحاصيل الزراعية ثم يعودون إلى سوريا.

ولفت إلى أنه مع تفاقم الأحداث في سوريا فإن عائلات هؤلاء العمال لجأت إلى الأردن من مناطق حمص ودرعا ودمشق، مما شكل عبئا على العمال الذين لم يجدوا غير الخيام لإيواء عائلاتهم نظرا إلى المردود المادي الضعيف جدا الذي يحصلون عليه.

وبحسب حماد فإن اللاجئين السوريين باتوا يتوزعون على مختلف المدن الأردنية، حيث توجد 250 عائلة في معان (250 كلم جنوب عمان)، و150 عائلة في الكرك (120 كلم جنوب عمان)، إضافة إلى مئات العائلات المتوزعة على مدن الزرقاء وإربد وجرش، إضافة إلى بعض مخيمات اللاجئين الفلسطينيين.

جنود منشقون

وإضافة إلى اللاجئين السوريين المدنيين، يضع الأردن جنودا منشقين عن الجيش السوري في مكان تجمع خاص شمال البلاد، وتمنع السلطات الأردنية أي اتصالات لهؤلاء مع وسائل الإعلام أو المجتمع المحيط.

وبحسب الرئيس السابق لمركز الدراسات الأمنية والإستراتيجية التابع للجيش الأردني اللواء المتقاعد موسى الحديد، لا وجاهة للحديث عن تقديرات أمنية تمنع إقامة مخيمات للاجئين السوريين على الحدود الأردنية السورية.

وقال الحديد "في التقدير الأمني الطبيعي، وجود مكان واحد يتجمع فيه اللاجئون السوريون أقل عبئا من توزع آلاف اللاجئين على مناطق متعددة، ووجود مخيم أفضل لحصر أعداد اللاجئين وطلب المساعدات من جهات دولية وعربية لصالحهم".

وعبر الخبير الإستراتيجي عن اعتقاده بأن قضية رفض الأردن افتتاح مخيمات للاجئين السوريين حتى الآن، "يعود إلى حسابات سياسية تتعلق بحسابات النظام الداخلية والخارجية التي ترفض حتى الآن القطع مع النظام السوري".

غير أن الناطق باسم الهيئة الأردنية لنصرة الشعب السوري الدكتور موسى برهومة اعتبر أن "لا موقف حاسما في الأردن ضد إقامة مخيمات للاجئين السوريين". وقال إن "الأردن يتعامل بشكل ممتاز مع قضية اللاجئين السوريين، ويسمح لهم بالدخول والسكن ويعاملهم معاملة الأردنيين في التعليم والصحة، ولكن قضية المخيمات تحتاج إلى حسابات أكثر عمقا واتصالات عربية ودولية بشأنها".

ويعتقد مراقبون بأن الأردن الذي يواجه ضغوطا اقتصادية كبيرة بات يتحمل عبئا جديدا يتعلق بقضية اللاجئين السوريين الذين شهدت الأيام الماضية تضاعفا في أعدادهم مع اشتداد حملة الجيش السوري على المدن المختلفة، حيث تتحدث جمعيات خيرية عن تسجيل ما يصل إلى 125 عائلة يوميا منذ نحو أسبوع، غالبيتها تصل الأردن من خارج الحدود الرسمية بين البلدين.

قصة هروب أم سورية مع أطفالها

أوردت صحيفة لوس أنجلوس تايمز قصة امرأة فرت مع أطفالها الأربعة من بين عدد متزايد من السوريين الذين تحدوا القناصة للوصول إلى الأردن. ويقدر عدد الهاربين السوريين إلى الأردن بنحو ثمانية آلاف.

وتصف المرأة -وهي ترتجف من برودة الليل الثلجي- حالها عندما وصلت مع أطفالها الأربعة إلى حاجز السلك الشائك الذي يفصل الحدود بين وطنها والأردن، وقد دفعت طفليها الصغيرين عبر الحاجز واستمرت في الجري على أمل أن محنة ترك بلدها المضطرب، حيث يقبع زوجها في السجن بسبب تظاهره ضد الرئيس بشار الأسد، تكون قد قاربت على الانتهاء. لكنها سرعان ما اكتشفت أن طفليها الكبيرين، ست وسبع سنوات، ليسا خلفها.

لوعة الأمومة

وفي ذاك الوقت كبتت الأم لهفتها على ولديها لمناداتهما في الظلام وتذكرت التحذير الذي وجه للأسرة بعدم إحداث أي ضوضاء أثناء الهرب خشية أن يلفتوا انتباه قناصة النظام المختبئين في التلال والذين كانوا يفتحون النار على صوت أي فرع شجرة يتحطم. ومُجبرة عادت الأم أدراجها صوب الحاجز باتجاه سوريا فوجدت طفليها عالقين في السلك الشائك وهما في حالة من الرعب لم يقدرا معها على الصراخ.

وهمس أحدهما لها قائلا "أمي أنا عالق. أردت أن أنادي عليك أين أنت يا أمي لكنني كنت خائفا".

وبعد تخليص ولديها من السلك الشائك واصلت الأسرة مسيرها، وكانت لهفة الأم وهي تحمل الطفلين الصغيرين، أربع وخمس سنوات، هي الوصول إلى بر الأمان، وكابدت طريقها في صعود أحد التلال حتى دميت يداها.

وفجأة قطع جنديان الطريق وتجمدت الأسرة في مكانها. وعندما قام أحد الجنديين بالاقتراب من الأطفال صدتهم الأم. لكن الرجلين ابتسما وقال أحدهما: لا بأس عليك نحن أردنيان وأنت في أمان.

وأشارت الصحيفة إلى أنه مع انتشار العنف في سوريا وارتفاع معدل الوفيات بسبب الثورة التي اندلعت ضد الأسد، قبل السوريون بطريقة هستيرية الفرار من البلد. لكن الهروب يزداد صعوبة كل يوم حيث يقوم المسؤولون السوريون بغلق المعابر الحدودية ويرفضون إصدار جوازات سفر.

وتعليقا على ذلك قالت أم الأطفال إن النظام لا يريد ترك الشعب يخرج لأن أي شخص يغادر سوريا يروي كل شيء عما يحدث هناك.

وتصف الأم اليوم الذي قررت فيه ترك بلدها قائلة إن الأسرة كانت في حالة فرار لعدة أسابيع. ومحاولة لاستباق الشرطة كانت الأم وأطفالها ينتقلون من منزل إلى منزل عبر الشوارع المخضبة بالدماء بحثا عن مأوى من القصف الحكومي الكثيف بمدينة درعا الجنوبية حيث نشأت حركة الاضطراب الشعبي. وكانت القشة الأخيرة عندما قطعت الشرطة رأس ابن أحد الجيران تحذيرا.

وحاولت الأم لأسابيع الوصول إلى مكتب جوازات الحكومة لكن الشرطة كانت أغلقت الطرق وردتها على عقبيها.

رحلة مروعة

لكنها أخيرا تمكنت من مهاتفة مسؤول حكومي أبلغها بإمكانية الوصول لمكتب الجوازات لكن إذا أتت وحدها إلى مكتبه. وفهمت الأم حينها مقصد الرجل وقالت إنه كان يريد (..).

ووصفت الأم رحلتها بأنها كانت قصيرة لكنها مروعة، وكان الجميع مذعورين خوفا من الموت في أي لحظة. ورغم تطمين الجنود الأردنيين لها فإنها من شدة الخوف كانت تخشى أن يكونوا سوريين متخفين. ولم يهدأ لها بال حتى وصل آخرون وقدم لهم الجنود الشاي وأسكنوهم ملجأ مؤقتا بمجمع سكني مهجور يُستخدم الآن للأسر السورية الهاربة.

وتحكي الأم الارتباك الذي كان فيه ابنها الأكبر عندما قدم لهم الجنود الأردنيون الشاي حيث سأل أمه مترددا "هل آخذه؟" "ولماذا يعطينا الجنود هنا الشاي وفي بلدنا يحاولون قتلنا؟".

وبعد ثلاثة أيام بمخيم اللاجئين انتقلت الأم وأطفالها إلى العاصمة عمان حيث يتقاسمون الآن شقة مع أسرة أخرى من درعا، وتقوم على رعايتهم جمعية خيرية إسلامية تسمى "الكتاب والسنة".

وتقول الأم إنها غير متأكدة مما ستفعله لاحقا لكنها ليس لديها نية العودة إلى بلدها قبل سقوط النظام الحاكم. وقالت بصوت خانق إنها لا تعلم ما إذا كانت سترى زوجها مرة ثانية. وأضافت بنبرة هادئة "أنا أخطط لبدء حياة جديدة ومحو الـ32 سنة الماضية من حياتي".

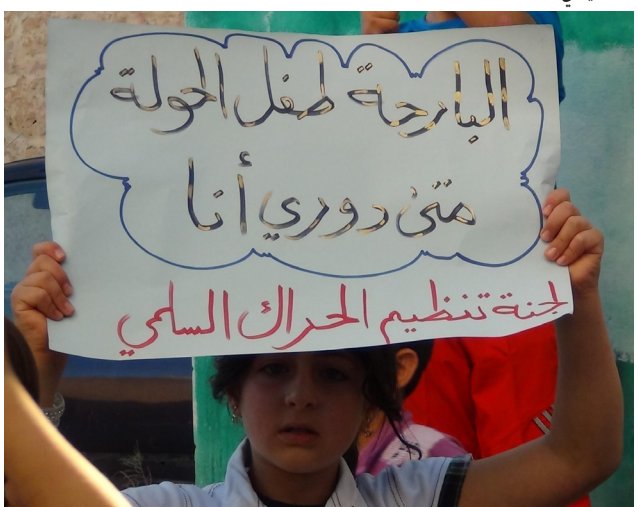

أوجـــاع وطـــن

غبار ال DNA .. غبار المجزرة

■ أسامة محمد

إذا دخل الجنود قريّة أهلكوها وجعلوا أعزّة أهلها أزلّة.. وكذلك يفعلون.

إذا دخل الجنود قريّة أهلكوها « وأهلكونا « وجعلونا أزلّة.. وكذلك يفعلون..

* * *

الدرس الذي يُحاضره النظام السوري في جثث أهلنا في «التريمسة».. هلاكنا... الدرس درس الإبادة «أوْ لا أحد».

هو محاضرة في الزمن.. تُلخص الزمن بالهلاك.. أو الطاعة.

وتعلِمُنا.. من جديد.. أننا جميعاً نعيش فوق لغم مُدَمِّر هو هذا النظام الحاكم.

كل سوريا بكلّ طوائفها تقف فوق اللغم القاتل (النظام الحاكم بالقوّة).

إنَّ تسويق شرعية أن تقصف(الدولة) وتقتل قرية بحجة أن مسلحين ينامون فيها أو يتناولون الطعام أو حتى يطلقون النار.. تفصح عن همجية الدولة في إنكارها المواطن الفرد وعن اعتناقها جريمة العقوبة الجمعية.

وهذا ذاك يدمر مرة جديدة احتمال أن الدولة الراهنة دولة السوريين...

إن دولة كلّ السوريين تُدَمَّرُ الآن... وتنشأ الآن.

القصف التمهيدي للتريمسة بالأسلحة الثقيلة (اعترف به كوفي عنان).. هو وثيقة الحقيقة والبدء.

قصف بالأسلحة الثقيلة التي دفع السوريون دمهم ثمناً لها من أجل الوطن

ويدفعون دمهم ثمناً اليوم.. من أجل الوطن.

قصف تدميري تمهيدي للبشر وللحقيقة. الوطن يضيع في غبار القصف... لتبدأ في الغبار رواية (عضو مجلس الشعب) عن حقيقة عمياء في عماء غبار القصف. نحن نضحك على أنفسنا إذا قلنا أن أحداً لا يصدّقه... فثمة من يصدقه ويتمنى تصديقه. وثمة من يعرف أنه يكذب ويصدقه. حتى يتمسك بشعرة النجاة. ونضحك على أنفسنا إذ لا نقيم أهميّة لمن يُصدّقه.

* * *

القصف بالأسلحة الثقيلة خيانة تلد كل خيانة.

إنه درسٌ وخطاب واضح وجلي.. قتل الأبرياء ليركع الجميع.

خيانة وطنية أبدية.

ولكن: إنَّ النجاة إلى الحريّة تنتظر خطاباً سياسياً إنسانياً يواجه هذا الغبار المجرم المعقد.

خطاب يتجاوز الوصف نحو المستقبل.

خطاب يتلمس المستقبل.

خطاب يخاطب ناس الطوائف ولا يخطبُ بها.. معها أو ضدّها...

خطابٌ سياسي إنساني يتوجه كل لحظة ويبني قامته اليوم وغداً.. بدءاً من: تجريم من فكرّ وقرر وأمر ونفّذ...

الخيانة الأخرى هو الهوى والسقوط في سهولة وهوى «أي وكلّ خطاب طائفي «

كلّ خطابٍ عموميّ عامّ تعميمي معمم للطوائف... خطابٌ أعمى.

* * *

إن الصوت والصورة اللتين يرسلها أخوتنا من قلب المجازر والمناطق المنكوبة. وثيقة إنسانية تاريخية واستغاثة حق واستغاثة وطن.

لا يحق للخطاب السياسي تلويثها بالتكرار والتعميم... ولا خيار له ولنا إلا بنحت مستقبلٍ لا تتفتت فيه الأخلاق بالعجز والتكرار والوصف.

ليس صحيحاً أن النظام غبي بالمطلق وأن مواجهته تكون بالشتيمة العامّة... النظام غبي تاريخياً.. غباء القاتل والمستبد وجهل القاتل المستبد لقوة التاريخ الإنساني ونموّه... ولكن النظام ذكي في تلويث الغبار بأخلاقه.

* * *

«نحن»:

إن إدانة كل جريمة إنسانية (خاصةً تلك التي ارتكبها أو سيرتكبها بعضُنا) هي الفارق الحقّ عن النظام.. الاعتراف قوة مستقبلنا وضمانته.

إن الوقوع في مطبّ المقارنة الكمية والعددية والاكتفاء به لا يبني شرعية جامعة... ولا يدرك الفارق بين الحقيقة في الواقع وبينها في مستقبل.

الخطاب السياسي لا يبنى ولا ولن يمتلك أجنحة الوطن القادم بمعزل عن الشجاعة الأخلاقيّة.

الاعتراف بآثامنا لا ولن تزيد من قوة النظام... وهي وحدها الكفيلة بنموّنا السليم.

* * *

النظام هو والقاتل الأكبر والمجرم الأكبر.

النظام خائن الوطن لا يترك إلا الخيار الأصعب.. الانتصار في معركة الأخلاق... وتحملّ أوزارها الهائلة...

تجريم المجرم وبراءة البريْ

كل لحظة

حتى حين تكون مجزرة.

سوريون على جواز السفر

هجرة العقول السورية.. أو تهجيرها

■ ياسر مرزوق

في آذار من العام 1517 أصدر البابا "ليو العاشر" أشهر صكوك الغفران لبناء كنيسة القديس "بطرس" وكان فحوى الصك أن من يموت وقد امتلكه تغلق في وجهه أبواب العذاب وتفتح أبواب جنة النعيم، فتداعى فقراء أوروبا في طوابير طويلة للحصول على الصك المذكور، يتكرر المشهد اليوم ويقف السوريون على أبواب السفارات الأجنبية والعربية طمعاً في الحصول على صك الغفران "التأشيرة"، في ملفنا اليوم سنضيء على واقع هجرة الأدمغة من سوريا، وقد حصرت البحث بهجرة العقول فقط لاتساعه، أما النزيف البشري الذي بتنا نعانيه في السنة الأخيرة، أو التهجير الممنهج لطوائف وإثنيات معينة فمواضيع نفرد لها ملفاتٍ خاصة في أعدادنا المقبلة..

ولن أبدأ ملف اليوم باستعراض لأسماء من شكلوا نقاط تحول في "بلادهم" الجديدة، أسماء في كل مجالات العلوم والثقافة والإبداع، لأن الأرقام ستبدو كارثية، أما هجرة البشر العاديين فستبدو كارثية أكثر، بل قد تعلن المناطق التي هاجروا منها مناطق موبوءة على الصعيد الفكري والعلمي والإبداعي. لا مبالغة في الأمر، صحيحٌ أن مقاومة الشعب السوري للقيد والقهر لم تقف يوماً، ولم تبدأ العام الماضي فالنضال ضدّ عسف النظام عمره من عمر النظام تماماً، عن الأب "باولو ديلو" الذي قال عنه علي فرزات: "الأب باولو.. كم تمنيت أن تكون مفتي الجمهورية"، ومن حواره الأخير مع جريدة "الحياة" أنقل: "لم يفاجئني السوريون في تصميمهم على نيل حريتهم وإصرارهم على المقاومة، والسؤال هنا هل توقف السوريون فعلاً عن المقاومة خلال عمر الاستبداد المديد! حتى بعد الضربة القاصمة التي تلقاها المجتمع السوري بعد مجزرة حماة في عام 1982، لا لم تتوقف المقاومة وبقيت السجون ممتلئة بالأحرار والشرفاء، ناهيك عن الأشكال المتعددة من المقاومة المدنية بما فيها الكتابة والاستقلالية ونظافة الكف والمحافظة على القيم داخل البيوت والحفاظ على الدين الخالي من الفساد في مواجهة نظام فقد كل مبررات وجوده الأيديولوجية والأخلاقية وأصبح عبارة عن هيكلية من القمع واحتكار السلطة ونهب الأموال العامة"، لكن في حالة الكفاءات العلمية تمسي المقاومة ضرباً من ضروب الانتحار فبعد مرور قرابة نصف قرن تقريباً، على استيلاء حزب البعث على السلطة في سوريا، ورفع الأعلام مرفرفة وصراخ النخب بأعلى الأصوات وأكثرها ثقة ووعوداً بأنها طوت صفحة التخلف لتبدأ في خط صفحات مشرقة من التنمية والتقدم نجد أنفسنا أمام تفاقم خطير لظاهرة هجرة الأدمغة، التي تعني هجرة رأس المال الأغلى في شكل نزف لا شيء ينبئ بجدية محاولة إيقافه، أو على الأقل التقليل من تدفقه الشبيه بالشلال، ففي وطن كلمات الحق المسموح بها قليلة وكلماتُ الحق الممنوع نشرها كثيرة، وكلمات الحق المسموح بالتفكير فيها بل قولها، تقل مع الأيام، وكلمات الباطل المسموح نشرها وقولها وإذاعتها أكثر من أن تحصى، والتكريم الذي يحظى به قائلو الحق قليل أو معدوم، والتكريم الذي يحظى به قائلو الباطل أكثر من أن يحصى ويزداد مع الأيام.. لا يجد العالم أو الإعلامي أو المثقف أو الطامح أمامه إلا دروب الهجرة والهرب من الفقر والمترية، ليلحق ركب الحضارة، الهرب لأنه غريب بطارده الإنكار. لأن من اختار البقاء أضحى كالمزارع الشهير "حيث يهوي أحدهم بفأس على جذع شجرة الغار، النار يوقدها شخص آخر، ثالث يشوي عليها الزمهرير، والمزارع كان لم يعد بعد من تضميد الشجرة..".

بهذا لم تكن الهجرة خياراً بل اضطراراً لأن البديل عن الهجرة سيكون الإهمال والنسيان وضياع الفرصة، وعن الباحثة الفرنسية "سيمون لايل" ومن كتابها "الأنظمة التوتاليتارية أو الشمولية" ص 224، أنقل: "إنّ حياة الفراغ والبؤس هذه والتي تَحرم العمال من كرامتهم كمنتجين، تَنزع من العمال المؤهَّلين مهارتَهم وتنزع من الآخرين كل فرصة في أنْ يبرعوا في أي شيء كان؛ فهذه الحياة التي ينتج عنها بعد سنتين أو ثلاث أو أربع سنوات اعتيادُ مؤلم لا تقوم بإعداد المرء لتجشُّم جميع مسؤوليات اقتصاد جديد".

هجرة العقول:

تعرف منظمة اليونسكو هجرة العقول بأنها "نوع شاذ من أنواع التبادل العلمي بين الدول يتسم بالتدفق في اتجاه واحد، ناحية الدول المتقدمة أو ما يعرف بالنقل العكسي للتكنولوجيا، لأن هجرة العقول هي فعلاً نقل مباشر لأحد أهم عناصر الإنتاج وهو العنصر البشري" وللعلم فإن عبارة هجرة العقول أو الأدمغة، ابتدعها البريطانيون لوصف خسارتهم من العلماء والمهندسين والأطباء بسبب الهجرة من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

ولعل اللغة الأبلغ في مقاربة موضوع الهجرة هي لغة الأرقام، لذا سأعرض لبعض من الإحصائيات لرصد الحال في سوريا والتي بحسب التقرير العربي عن المعرفة لعام 2009 تحتل المرتبة الأولى بين الدول العربية حسب مؤشر هجرة الأدمغة المعتمد ضمن منهجية قياس المعرفة للبنك الدولي بقيمة للمؤشر تعادل 2.3.

* عام 1960 كانت سوريا تقريباً عند المستوى نفسه مع كوريا الجنوبية في حصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي أما اليوم فإن الناتج المحلي لكوريا الجنوبية يفوق عشر مرات مثيله في سوريا.

* ارتفعت نسبة الفقراء "ما تحت خط الفقر الأدنى" وفق خط الفقر الوطني من 11.4 في المئة من إجمالي السكان عام 2004، إلى 12.3 في المئة عام 2007، يبلغون نحو 2.358 مليون نسمة، كما يشكل من هم تحت خط الفقر الأعلى نحو 22 في المئة من السكان ويشكلون نحو 4.218 ملايين نسمة وفق تقديرات عام 2007، انضمت شريحة واسعة منهم لخط الفقر الأدنى عام 2010، لنصل إلى أن نسبة من يرزحون تحت خط الفقر في سوريا نحو 7 ملايين نسمة يشكلون 34.3 من تعداد السكان، وذلك بحسب التقرير الوطني الثاني الصادر عن "هيئة تخطيط الدولة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي"..

* أما عن الاختلال في عدالة توزيع الدخل الوطني، فقد أشار مقياس "جيني" إلى أن العشر الأدنى من السكان أي 10 في المئة منهم، وكان حجمهم عام 2007 يعادل 1، 9 مليون نسمة ينفقون ما نسبته نحو 3، 5 في المئة فقط من إجمالي الإنفاق، في حين ينفق أغنى عشرة في المئة نحو 27، 3 في المئة من هذا الإجمالي، أي ثمانية أمثال ما ينفقه العشر الأول تقريباً، وهنا أنقل ما قاله: "كيبي دي لياتو" وهو جنرال انقلابي عينه الجنرال فرانكو حاكما عسكرياً إبان الحرب الأهلية الاسبانية، والمرتكب لأفظع المجازر اتجاه الشعب الاسباني "إن المساواة الاجتماعية كلمة فارغة، انظروا إلى عمل الطبيعة وراقبوا ما خلقه الرب، تجدوا أنه لا يوجد شيئان متساويان، إن المساواة بين البشر أمرٌ محال"..

* بين عامي 2004 و2008 ارتفع معدل البطالة في سوريا إلى 16 بالمئة، بينما لم يحقق الإقتصاد الوطني إلا 0.5 في المئة معدلاً وسطياً لنمو المشتغلين، بينما يحتاج وفق تقديرات نمو القوة البشرية إلى معدل نمو يتراوح بين 3 إلى 4 في المئة سنوياً من تعداد المشتغلين.

* عدد المشتركين في خدمة الانترنت، بما في ذلك مقاهي الانترنت، وفق التقديرات الرسمية، يمثل أقل من 1 في المئة من مجموع عدد سكان سوريا، كما لا يصل عدد مشتركي الحزمة العريضة "dsl" القادرة على حمل مجمل خدمات القيمة المضافة، إلى أكثر من 20 ألف مستخدم.

* حسب تقرير اليونسكو تقع سورية ضمن مجموعة الدول الراكدة أو المهمشة علمياً وتحتل المرتبة 25 من 26 دولة في مجال الأوراق العلمية المنشورة في دوريات محكمة وتحتل نتيجة ذلك مرتبة متدنية في ترتيب التنافسية العالمية وفي مجال الصادرات عالية التقانة، ويحرمها هذا الوضع من إمكانات تطوير التعليم والإدارة ويضعف قدرتها الاستيعابية لعملية نقل التكنولوجيا إضافة إلى إضعاف القدرة الإنتاجية بشكل عام وينعكس ذلك بضعف جذبها للاستثمار الأجنبي المنتج.

* في جامعة دمشق يكاد لا يوجد بحث علمي، مع أنَّ هناك ميزانيةً تُرصَد، ويسري إلى الأسماع أنَّه ليس هناك بند في القانون لصرفها، علمًا أنَّ قوة أية جامعة تتأتّى من قوّتها في البحث العلمي. وغياب البحث العلمي يُحوِّل الجامعة إلى مَدْرسة ثانوية من مدارس دمشق. ولهذا نرى جامعة دمشق، تغيب مثلاً عن تصنيف

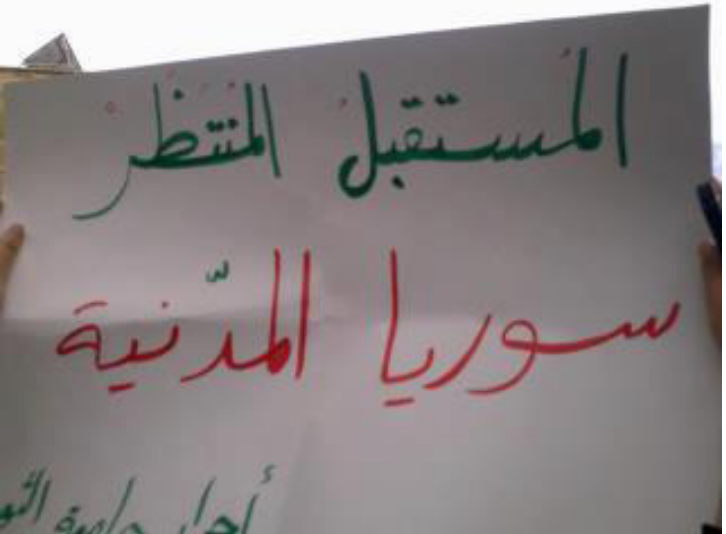

"كيو إس تايمز" QS Times لأفضل مئتَي جامعة في العالم.

* عدد المهاجرين السوريين من الكفاءات العالية والمقيمين في الولايات المتحدة الأميركية وصل حتى عام 2000م إلى 120 ألف شخص تربح منهم أميركا، ما مقداره 2 مليار دولار من تكاليف التعليم، وهذا المبلغ يعادل نصف المبالغ التي دفعتها الولايات المتحدة لكل دول العالم من مساعدات اقتصادية وسياسية!.

* إسرائيل تحتل المرتبة الـ23 بين بلدان العالم في دليل التنمية البشرية فيما تأتي الدول العربية ذات التماس مع إسرائيل كلبنان في المركز الـ82 والأردن الـ92 وسورية 111 ومصر 119.

* ميزانية البحث العلمي في إسرائيل تبلغ 2. 6 بالمئة من الموازنة السنوية، أميركا 3. 6 بالمئة، السويد 3. 8 بالمئة، سويسرا واليابان 2.7 بالمئة. الإنفاق السنوي للدول العربية على البحث العلمي لا يتجاوز 0. 2 بالمئة من إجمالي الموازنات العربية.

إن كانت الأسباب السابقة قاسماً مشتركاً بين كثير من دول العالم الثالث، إلا أن السبب الرئيسي للهجرة بمختلف أنواعها هو غياب الديمقراطية وتزايد القمع وانتهاكات حقوق الإنسان. والفساد السياسي وعدم تقدير الكفاءات، وأحيانا عدم الاعتراف بها، وغياب البيئة المناسبة المحرضة على الخلق والابتكار والبحث العلمي والإبداع، وهيمنة الجاهل على العارف، وتحكم الشكلي بالجوهري، والبسيط الساذج بالعميق، وتفشي الدكتاتورية أشكالها المتعددة، والاستهزاء بالمبدع الحقيقي، وتغليب الشوفينية، وتهميش أصحاب الرأي ومحاربتهم بقوت يومهم، واضطراب القيم واختلالها، والخوف من ظهور رموز مفكرة عالمة مبدعة في الأمة، ولعل خير شاهد على علاقة الدكتاتور بهجرة الكفاءات هي قصيدة الكبير "أحمد فؤاد نجم": حسني مبارك.. إلى شعب مصر

أحب اللي شايف وعارف وخايف
وبالع لسانه وكاتم ماقال.. وأحب اللي
قافل عيونه المغفل وأحب البهايم
وأحب البغال واحب اللي راضي واحب
اللي فاضي واحب اللي عايز يربي
العيال.. وأحب اللي يائس وأحب اللي
بائس وأحب اللي محبط وشايف
محال.. وأحبك تسافر وتبعد تهاجر
وتبعت فلوسك دولار أو ريال.. وأحبك
تطبل تهلل تهبل عشان مطش كوره
وفيلم ومقال.. واحبك تأيد تعضض
تمجد توافق تنافق وتلحس نعال..

يضاف إلى الأسباب السابقة "خدمة العلم" بالنسبة للذكور، فمع كون البلاد طاردة للكفاءات على كل الصعد، يقف في وجه الخريجين الجدد، وأصحاب المؤهلات العالية خاصة على اعتبارهم متقدمين في السن نسبياً والذين قرروا البقاء في بلدهم، عامٌ ونصف من الخدمة الإلزامية، تضيع فيها كل المكتسبات العلمية التي حققها الخريج وتعيده للوراء أعواماً خاصةً عند متخصصي التقانة، ولسنا هنا بصدد التنديد بفكرة الخدمة الإلزامية في بلد يعيش حالة حرب نظرياً وقانونياً مع إسرائيل، فالجيشُ والمؤسسة العسكرية عماد الدولة وليس النظام وسوريا المرتقبة لن تكون بدون جيش يقوم بواجبه الدستوري.. لكن المشكلة تكمن في آليات التأهيل والتدريب، وفي التعامل من الكفاءات العلمية.. عن

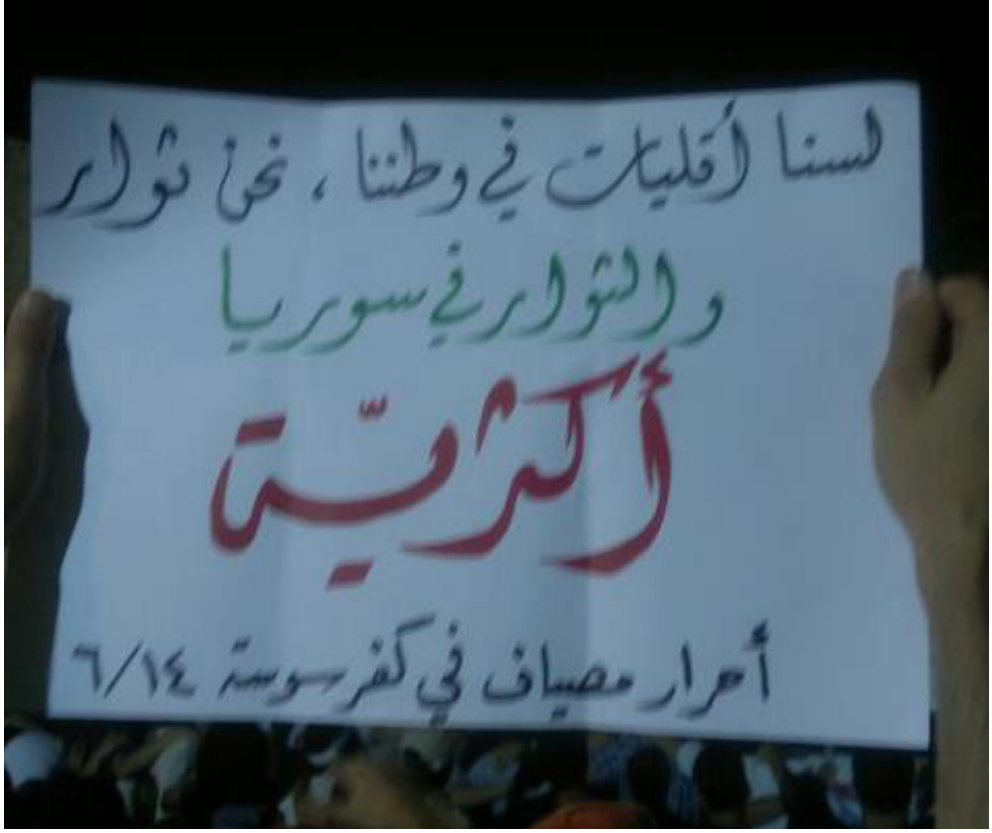

الأديب السوري "عادل محمود" ومن روايته "إلى الأبد.. ويوم" يصف حياة الخدمة الإلزامية: أمضينا ستة أشهر في التدريب على كل شيء ولا شيء، كل عقوباتنا التي حصلت عليها كانت بسبب الهندام والتحية العسكرية ومسائل الانضباط، لم يعاقب أحد لأنه أخطأ في الرمي، أو قفزَ قفزة سخيفة على العدو الوهمي، أو نسي الخريطة، أو تاه في الليل، أولم يعرف استخدام البوصلة، أو لم يتقن فك وتركيب السلاح.. لقد مرغونا في الوحل ونمنا في الوحل بملابس موحلة في أسرتنا التي ننظفها كل أسبوع، لأننا مثلاً لم نتقن تحية قائد المعسكر، حرمنا من الإجازات لأن القفازات البيضاء لم تعد بيضاء كما ينبغي، في معسكر قتَلنا فيه الذباب والمراحيض القذرة، وقلة الماء..

في نهاية هذه المجزرة جمعونا في صالة لاحتفال التخرج وإنهاء الدورة التدريبية التي ستوجنا بعدها الجندية إلى دورة أخرى.. ثم إلى ضباط

ولابد من الإشارة إلى أن المجال الأكثر تضرراً بهجرة العقول إلى الخارج هو مجال "إنتاج المعرفة" بجوانبه المتعددة، إذ تسببت هذه الهجرة ولا تزال في تخلف حقول المعرفة وفي إضعاف الفكر العلمي والعقلاني وعجزه عن مجاراة الإنتاج العلمي في أي ميدان من الميادين. لكن الخسارة الكبرى تتبدى في الأثر السلبي الذي تتركه هذه الهجرة على مستوى التقدم والتطور المطلوب في المجتمع في الميادين العلمية والفكرية والتربوية والاقتصادية والاجتماعية، وهو أثر يطاول مشاريع التنمية والإصلاحات، مما يفاقم التخلف السائد أصلاً، وذلك بعدما بات مقياس التقدم متصلا اتصالاً وثيقاً بمدى تقدم المعرفة وإنتاجها.

وقد يقول قائل أن هجرة العقول سلوكٌ طبيعي فعندما كان العالم العربي يحمل شعلة الحضارة قبل مئات السنين كان يأتيه المفكرون والخبرات والعقول من كل حدب وصوب، وبما أن شعلة الحضارة انتقلت إلى الغرب فمن الطبيعي أن يهاجر الخبراء والعلماء إلى المراكز التي تحتضن هذه الشعلة، لكن الخلاف جوهري بين الحالتين ففي الحالة الأوروبية كانت تلك الدول أو الممالك تبعث بعلمائها للعالم العربي لاقتباس المعرفة والعودة لخدمة بلادهم، ولم تخلو رحلة عبر التاريخ للعالم العربي من بعثة علمية تجمع الكتب والمؤلفات وترجمتها، ليبدأ عصر النهضة في أوروبا.. أما الحال في سوريا فهو طرد وتهجير قسري للكفاءات، مع نفي احتمال العودة.

وفي عالم الفضاء المفتوح والاتصالات كان ممكناً لو توافرت الإرادة أن تفيد سوريا من هذه الكفاءات وهي مقيمة في الغرب.. إلا أن الإرادة غائبة، كما أن شريحةً من المغتربين الذين تعرضوا للإقصاء والتهميش، مقابل احتفاء غربي بمكانتهم العلمية، يجعلهم يعيشون حالةً من النكران والقطيعة مع وطنهم، في مسرحية برندللو الشهيرة "هنري الرابع" يصور شاباً خرج مع أصدقائه في موكب فروسية بملابس تنكرية فسقط من على حصانه، إثر لكزة شديدة من أحد أصحابه الذي كان ينافسه في حب سيدة شابة، فأصيب بنوع من الجنون جعله يتوهم أنه الإمبراطور "هنري الرابع" الذي كان يتنكر في ثيابه، ولما شفي بعد مرض طويل آثر أن يبقى على وهمه ويعيش في عالم الخيال، فراراً من الواقع المليء بالمآسي والمفارقات والمهازل..

لعله من المفيد أن نذكر، خبراً أوردته صحيفة "غلوبو" البرازيلية، واسعة الانتشار، مفاده أن اللجنة الاقتصادية في حكومة "ديلما روسيف" رئيسة البلاد، أعلنت عن مخطط لتحفيز ما أسمتها "الهجرة المؤهلة" عبر قانون سيكون من ناحية أخرى متشدداً مع الهجرة غير المؤهلة". ما يعني أن أبواب الهجرة إلى البرازيل سوف تفتح أمام المهاجرين المؤهلين على حساب المهاجرين غير المؤهلين.

وفي تبرير لهذا الإجراء التي أقدمت عليه البرازيل، قال كاتب الدولة في الشؤون الإستراتيجية التابعة لرئاسة الحكومة البرازيلية "ريكاردو بايس": بما أن البرازيل هي الآن جزيرة رفاه في العالم هناك أشخاص عديدون مؤهلون يرغبون في القدوم إلى هنا، وأضافت "غلوبو" أن المرحلة الأولى من المشروع "سوف يتم إطلاقه خلال الشهرين المقبلين، وسوف تتبع فيه البرازيل نموذج الهجرة لدى كندا وأستراليا، مانحة الأسبقية للأدمغة أولا".

إن خطر هجرة الأدمغة لا ينحصر بواقعها الحالي، بل في مستقبلها، فنسبة كبيرة من الطلبة المتميزين يطمحون للدراسة والعمل في الخارج، ونسبة كبيرة من العلماء يتوقون للعمل في أماكن توفر لهم المختبر ومصادر المعلومات والأمن الإنساني والشخصي، ونسبة كبيرة من المبدعين يتوقون للحياة في أماكن مفتوحة الآفاق، أما نسبة الشباب أصحاب المهن والطامحين للهجرة فقد تصدم كل عين وعقل وشعور.. ولعل ما ذكرناه آنفاً عن البرازيل دليل واضح على غياب حتمية الهجرة من دول العالم الثالث..

ليس لي بعد نقل هذه الصورة القاتمة، إلا أن أدعوكم لأن نحلم بغدٍ أفضل، فالنصر بات قاب قوسين أو أدنى، وأضحى من الممكن أن يزحف الشجر في بلادي إلى السماء وتمتلئ الدروب بتهاويل الفنون وتحتجب الشمس بالحلك الأسود وبالعمل سنصنع الأوطان بالمعول، بالرفش، بالمطرقة، بالقلم، بأي شيء، إن جهود خمس قرون مرهقة هي التي صنعت هذا الغرب المتحضر ونحن اليوم أمامنا الكثير من العمل والقليل ن الكلام.. إذاً سأترككم للحلم والحلم هو ما يميزنا، بني البشر عن الوحوش، والكلام على عهدة شاعرنا "عبد الرحمن الأبنودي" من قصيدته "بيض الحبل" وأما عن غرابة الاسم فسنتركها لقراءة في ديوان الأبنودي، في زاوية قراءة في كتاب في أعدادنا القادمة..

تنتظر فيهم يموتوا ما بيموتوش..
هتموت الحملان وتفضل الوحوش..
الوحوش ما بيزعلوش ما بيتعبوش
واقعيون عمرهم ما بيحلموش..
مهما نصرخ من ألم ما بيسمعوش
ما بيرحموش لأنهم ما بيشوفوش..
ما بيعرفوش حتى إحنا مين.. ما
بيميزوش أكتر من اللى بتسمعوا
القروش..

بين القطبية الوطنية والقطبية الدولية

■ خالد كنفاني

إن حالة الاستقطاب السياسي والاجتماعي ليست أمراً طارئاً على العالم وعلى سوريا كجزء من هذا العالم، فقد مرّ البلد بالكثير من المراحل التي كان مطالبا فيها بالانحياز لطرف ما رغم توقيع سوريا على معاهدة عدم الانحياز، ولكن تبيّن فيما بعد أن هذه المنظمة لم تكن يوماً إلا مكرّساً للانحياز كما تبين أن كل أعضائها بلا استثناء منحازون إلى طرف ما أو جهة ما.

يدور حديث طويل في هذه الأيام عن حالة القطبية العالمية التي تتصاعد وتيرتها في العالم على الأرض السورية، وإذا كان لبنان في وقت ما (ولا يزال) مسرحا لقطبية إقليمية كثر فيها اللاعبون وتعددت الوجوه والأهداف، فإن سوريا على ما يبدو أصبحت (وستصبح) مسرحا لقطبية من نوع آخر وقياس آخر. فاللاعبون اليوم هم كل القوى العظمى والمتعاظمة والطارئة على العظمة (بالاستعارة من العرب العاربة والمستعربة والمحدثة) وهم اليوم لا يبحثون في كيفية إنقاذ هذا البلد أو تطويره او إعادة إحيائه، فأقطاب العالم لا يهمهم أن ينضم إليهم عضو جديد بعد ما فعل في السابق ما فعل من كوارث إقليمية، كما أنهم لا يبحثون في السر ما يصرّحون به في العلن، واحمرار وجه كلينتون أو غضب جاسم بن جبر وانتفاخ أوداج أوغلو وانفعال وزير خارجية بوتسوانا والذي يبدو أنه أصبح "صديقا" لسوريا عن طريق الفيس بوك، كل هذه الانفعالات هي تمثيليات سياسية احترف ممثلوها الكذب والنفاق العالميين وهم يعلمون جميعاً خطورة الشعب السوري إذا نال حريته وتسلم دفة السياسة في المنطقة. ولهذا فإن أعداء وأصدقاء سوريا على السواء لا يبحثون في اجتماعاتهم المغلقة أي أمر يتعلق بسقوط النظام ودعم السوريين، فتجاربهم السابقة في دعم الإنسانية غنية عن التعريف وتبقى شواهد فلسطين والعراق والبوسنة والشيشان ورواندا حية في الضمير العالمي الذي يبكيه اليوم بعض المعارضين وكأن ذاكرتهم القصيرة لا تريد الاعتراف بحقيقة غلبة السياسة على المثل وغلبة المصالح على القيم.

وحال الاستقطاب هذه لا تولّد إلا حالات متفرقة من القطبية داخل الوطن وخارجه، وهكذا يعاد توزيع خرائط الولاء والتابعية في كل حقبة من الزمن وفقاً للمصالح الجديدة والهوى العالمي. واليوم يتم دفع الوضع في سوريا إلى حالة من الاستقطاب غير المسبوق وعلى كل المستويات. فما بين مؤيدين ومعارضين ومحايدين يستمر المسلسل ليصل إلى معادين لروسيا ومؤيدين لها بينما لم يعد المعارضون يرون حلا سوى لدى الولايات المتحدة رغم وضوح المواقف الأمريكية الفعلية الهشة في مقابل مواقفها الكلامية الصلبة تجاه الثورة في سوريا. وبينما عاش السوريون (ولا يزالون) حالات الاستقطاب الطائفي والعشائري والقومي على مدى مراحل مختلفة من تاريخهم رغم كل الإنكار الذي يتبناه بعض المعارضين لهذه المسألة، فإنهم يعيشونها اليوم في أعلى مراحلها وأبعدها عن الوطنية الحقيقية. أما ضمن المجموعة الواحدة (سواء طائفة أو عشيرة) فإن تهمة بكلمة واحدة (عواينة أو شبيح) كافية لإهدار دم المتهم فورا في إعادة إنتاج نفس الممارسات التي قام بها النظام عندما كان يعتقل العشرات لمجرد الشك أو الشكاوى الكيدية. لا يوجد وقت أو رغبة في سماع أي كلام، هي محاكمات ميدانية شعبية آنية وفورية تصدر أحكامها عن أناس غاضبين فقدوا الكثير بسبب إجرام النظام وشهدوا محاكماته الميدانية سواء في السجون أو حتى في الشوارع العامة.

وصلت حالة القطبية إلى داخل العائلة الواحدة وكثير من المعارضين اليوم يقاطعون إخوانهم وأشقاءهم على مذبح التأييد والمعارضة، ومهما كانت الاتهامات موجهة للنظام الذي زرع بالفعل الكثير من المواقف السلبية واللاأخلاقية بين الناس، فإن القابلية للقطبية (بالاستعارة من تعبير مالك بن نبي) موجودة لدى السوريين وأثبتت وجودها مع انفجار الثورة في كل أرجاء الوطن. ولئن اعتبر البعض هذا الكلام تعالياً على الوعي الشعبي أو تعامياً عن بعض الحقائق المضيئة والأمثلة الرائعة، فإن الكلام يتجه هنا إلى اللاوعي الجمعي المختزن في ذاكرة الناس ولو أن بعضهم لم يشهد أية أحداث دموية في حياته. وتمتلئ صفحات مواقع التواصل الاجتماعي ومواقع الانترنت بآلاف وعشرات الآلاف من العبارات والتصريحات والتهديدات حيث يتبادل كل من طرفي المسألة الاتهامات عن منشأ بعض الصفحات وهوية من يكتب فيها. إن القطبية الوطنية أصبحت أمراً واقعاً وهذا ليس تشاؤماً ولا مبالغة ولا تقليلا من شأن الثورة على الظلم والاستبداد، ولكنه نتيجة طبيعية في الأزمات التي تعصف بأي بلد وخاصة مع طول أمدها. عاش الفلسطينيون هذه الحالة منذ بدء القضية حين اضطروا للخضوع لحالات الاستقطاب السياسي بحسب تابعيتهم أو وجودهم الجغرافي ويعيشها العراقيون والليبيون والمصريون واليمنيون اليوم ولكن مع الفوارق الثقافية والاجتماعية بين كل هذه الدول والشعوب.

تتصاعد وتيرة هذه القطبية مع تصاعد العمليات المسلحة سواء من النظام أو الثائرين على اختلاف انتماءاتهم ومشاربهم. وهكذا يتحول حامل البندقية سواء كان من الجيش الحر أو الجيش النظامي إلى خصم وحكم في آن معا، ويتحول الآخرون إلى مجرد حلقات في مسلسل الاستقطاب الوطني الرهيب. ومن هنا نفهم الرعب الذي يعيشه أهل الكثير من المناطق المشتعلة في سوريا (وما أكثرها) لدى اضطرارهم للسفر أو العبور من شارع لآخر في بعض الأحيان. فلا أحد يمكنه التنبؤ بهوية الحاجز القادم على الطريق، كما أن أحداً لا يمكنه التنبؤ برد فعل حامل البندقية على الإجابات التي سيسمعها من راكب السيارة أو -وهو الأسوء- رد فعله على بيانات هويته. قد لا يموت الناس على الهوية اليوم في سوريا، ولكن من المؤكد أنهم باتوا يتصرفون على هذا الأساس وخاصة مع حالة الفرز والفلترة التي يتعرض لها السوريون سواء من النظام أو الثوار. ربما لا تكون الصورة بهذه الضخامة ولكنها تتجه لتكون كذلك لأن المخيال الشعبي العام يميل للتكتل والاحتماء بالجماعة بعد أن فقد الوطن أي معنى له وبعد فشل كل التيارات القومية والوطنية في إرساء حالة من المواطنة الحقيقية التي تعني وجود مرجعية وطنية لا تنظر إلى طائفة أو عرق أو لون. بقيت كل هذه الشعارات حبرا على ورق طيلة قرون (وليس عقود فقط) واليوم تعيش البلاد العربية ما يشبه حالة الانفجار التاريخي الذي فاق في قوته سقوط الاتحاد السوفيتي والتحولات الديمقراطية في بلدان المعسكر الاشتراكي السابق، حيث تفجرت القوميات الكامنة وتم فصل التشيك عن سلوفاكيا بإرادة شعبية خالصة وكذلك انقسمت يوغوسلافيا إلى ست دول كان ثمنها مئات آلاف القتلى والجرحى والمفقودين والأيتام.

ورغم أن الكثيرين استغربوا أو استنكروا أو تعاموا عن ما حدث في مؤتمر المعارضة السورية في القاهرة من قبل الأحزاب الكردية، إلا أنني رأيت الموضوع طبيعيا ويأتي في سياقه التاريخي الطبيعي وليس أمراً شاذاً أو طارئاً على هذه المنطقة. عانى الأكراد من التهميش وحتى الإقصاء الوطني طيلة فترات طويلة كما أن المسألة الكردية يتم بحثها منذ الاستقلال دون التوصل إلى أية نتائج على الأرض إلى أن نشأت أجيال بأكملها لا تحمل هوية ولا جواز سفر وكأنهم بشر طارئون أو آتون من كوكب آخر. ولهذا واستمراراً مع مسألة القطبية علينا أن نفهم أن تركيا التي احتضنت كل أطياف المعارضة السورية تقريباً أخفت أو حاولت إخفاء امتعاضها من تعيين عبد الباسط سيدا على رأس المجلس الوطني، ولكننا يجب أن نفهم أن تركيا لا تقوم بكل ذلك بلا مقابل والمعارضون في الخارج يعلمون ذلك تماما. وهكذا يتم إسقاط لواء اسكندرون من كل الخرائط السورية الصادرة عن المجلس الوطني أو غيره من حركات المعارضة بينما يتم القفز على المسألة الكردية خشية إثارة غضب الحوت التركي والذي يعتبر المسألة الكردية خطاً أحمر وخاصة بعدما أصبح للكرد إقليم شبه مستقل في شمال العراق.

حالة القطبية الوطنية لم تتوقف عند نقل الحقائق ذاتها بوجهين مختلفين، بل تجاوزتها إلى الروايات والقصص التي تنتشر في أرجاء المعمورة عن سوريا وما يحدث فيها. ونرى أن الضغط الرهيب الواقع على السوريين في الداخل والخارج ولّد حالة مما يمكن أن نطلق عليه "أسطرة الثورة" بمعنى إضفاء الطابع الأسطوري على كل ما يتعلق بالحراك الشعبي أو المسلح وتحويل رموزه إلى ما يشبه أيقونات أو رموز تاريخية تقارب في معناها وغايتها أسطورة "جان دارك" والتي تم توظيفها خلال حرب المائة عام بين فرنسا وانجلترا إلى درجة قيادتها للجيوش الفرنسية مع أنه تم إعدامها وهي لا تزال في التاسعة عشر من عمرها. ولسنا هنا نقلل من التضحيات الهائلة للمدافعين عن أرواحهم وممتلكاتهم وحريتهم إلا أن أسطرة الروايات واستعادة بعض الصفحات المضيئة من التاريخ وإسقاطها على الواقع تحول إلى مسألة إعلامية ترد على إعلام النظام الذي يقوم بالمقابل بشيطنة كل ما يتعلق بالثورة والثائرين باتجاه تخوينهم وإقصائهم واعتبارهم مارقين أو فوضويين هدفهم الأول والأخير نشر حالة القلق والخوف في سوريا وليسوا طلاب حرية وعدالة.

وبين اشتعال القطبية الدولية وانفجار القطبية الوطنية يسقط آلاف السوريين شهرياً قتلى وجرحى ومعاقين وأيتام ضحايا مذبحة وطنية لن تبقي ولن تذر. يعيش من بقي حياً إما في حالة ذهول أو انفصام كلي عن الواقع أو ترقب للقادم المجهول أو حاملاً بندقية ستكون مفتاحه لفرض فكره أو فكر من يقف وراءه أو حالة أعم من المعارضين أو الطارئين على المعارضة والذين يعتمد برنامجهم اليومي على القهوة والدخان وكتابة أي شيء على صفحات الانترنت، ليتحول كثير منهم إلى ما يشبه نجوم السينما وخاصة إذا أطل أحدهم على شاشة ما وبدأ بتجريب حنجرته وطبقات صوته الرخيم معتقداً أن شاشاتنا لا تتحكم بالصوت.

يقول غسان كنفاني:

"إذا كنا مدافعين فاشلين عن القضية.. فالأجدر بنا أن نغير المدافعين.. لا أن نغير القضية".

تعديلات قانون خدمة العلم

■ ياسر مرزوق

صدر المرسوم التشريعي 30 للعام 2007 الخاص بقانون خدمة العلم، الجديد في هذا القانون يتلخص بترشيد وتقنين البدل النقدي، وتخفيض سن التكليف الإلزامي والاحتياطي وذلك من خلال جعل حده الأقصى 42 عاماً بدلاً من 52 عاماً.. إضافة إلى فرض العقوبات بحق المتخلفين والمخالفين لأحكام قانون خدمة العلم وجعل هذه المخالفات متدرجة وموضوعية أكثر من أحكام القانون السابق. ، ثم ألحق بعدد من التعديلات...

انطلق المشرع من أمرين أساسيين لتخفيض سن التكليف الأقصى.. وهو أن يبقى المكلف مكلفاً حتى بلوغه سن التكليف الأقصى، وعندما يصل إلى هذا السن يعفى من الخدمة الإلزامية والاحتياطية، وانطلاقاً من ذلك وجد المشرع أن سن التكليف 52 عاماً سناً كبيراً، وبالتالي فالأسباب الموجبة لذلك وجدت أن لا جدوى اقتصادية من هذا المكلف، وبالتالي يصبح عبئاً على القوات المسلحة هذا أولاً..

وثانياً: تخفيض سن التكليف يأتي في إطار تشجيع المغتربين للعودة إلى الوطن، وقد رأى المشرع أن يضع بدل هذه الخدمة، بدلاً سماه (بدل فوات الخدمة) وربطه بالمؤهل العلمي لكل مكلف بحيث أصبح على الشكل التالي:

من يتجاوز عمره السن المحددة للتكليف بالخدمة الإلزامية 42 عاماً ولم يؤدها لغير أسباب الإعفاء المنصوص عليها في قانون خدمة العلم يعوض مدنياً بدفع بدل فوات الخدمة وفقاً لما يلي:

آ- الراتب المقطوع لرتبة ملازم متطوع لمدة 35 شهراً بالنسبة لحملة الشهادات الجامعية التي تزيد الدراسة فيها عن أربع سنوات.

ب- الراتب المقطوع لراتب رقيب أول درجة أولى لمدة 35 شهراً بالنسبة للشهادات الجامعية التي تكون الدراسة فيها 4 سنوات.

ج- الراتب المقطوع لرتبة رقيب متطوع درجة أولى لمدة 35 شهراً بالنسبة لحملة شهادة المعهد المتوسط أو شهادة ثانوية عامة بكافة أنواعها.

د- الراتب المقطوع لرتبة جندي أول متطوع لمدة 35 شهراً بالنسبة لباقي المكلفين، ويتم الدفع بالليرة السورية أو ما يعادلها بالدولار الأميركي لمن كان مقيماً خارج أراضي الجمهورية العربية السورية.

كما أن ترقين القيد "سن التكليف القصوى" ينطبق على المقيمين داخل وخارج الجمهورية العربية السورية. وفي حال عدم دفع من وصل سن 42 عاماً وطلب ترقين قيده في شعبة تجنيده ولم يدفع مبلغ" بدل فوات الخدمة" تحصل المبالغ منه وفق قانون جباية الأموال العامة، وبدل "فوات الخدمة" تتراوح قيمته ما بين 190 ألف ليرة سورية و270 ألف ليرة سورية وبإمكان أي مواطن بلغ سن "فوات الخدمة" سن 42 عاماً مراجعة شعبة التجنيد العائد لها وتقديم طلب بترقين قيده ودفع ما يترتب عليه من مبالغ مالية حسب الأصول التي حددها قانون خدمة العلم مع أخذ العلم أنه لا يجوز سوقه بتاتاً..

أما عن البدل النقدي فيقبل من كافة المواطنين العرب السوريين ومن في حكمهم الخاضعين لخدمة العلم والمقيمين خارج أراضي الجمهورية العربية السورية في دول عربية أو أجنبية وفق مايلي:

1- ستة آلاف وخمسمائة دولار أمريكي لمن كانت إقامتهم دائمة لمدة لا تقل عن خمس سنوات.

2- خمسمائة دولار أمريكي لمن ولد في دولة عربية أو أجنبية وأقام فيها أو بغيرها إقامة دائمة..

وحول الإعفاء فقد حدد المشرع أسس الإعفاء وحالاته منها على سبيل المثال لا الحصر الأب الذي استشهد أو توفي له ولد أو أكثر بسبب العمليات الحربية أو بسبب القيام بواجب الوظيفة والمعرفة في النظام والابن الوحيد لوالديه أو لأحدهما سواء كان كلاهما أم أحدهما حياً أو ميتاً أو اللقيط ومن في حكمه الذي أتى به من دار الايتام أو أية مؤسسة اجتماعية أخرى وعاش حتى سن بلوغه سن التكليف في كنف زوجين لا ينجبان وفقاً لما يحدده النظام. كما يعتبر بحكم الوحيد الأخ السليم لأخ أو لإخوة مصابين بعاهات أو أمراض تمنعهم من إعالة أنفسهم.. إضافة للمكلفين الذين أدوا الخدمة العسكرية الإلزامية في جيش دولة عربية أو أجنبية ويحملون جنسية تلك الدولة.

كما أن القانون لم يسمح للسوريين ومن في حكمهم الذين أتموا السابعة عشرة ولم يتجاوزوا الثانية والأربعين عاماً مغادرة الجمهورية العربية السورية إلا بموافقة مسبقة من مديرية التجنيد العامة ومناطقها والشعب التابعة لها ضمن شروط حددها القانون إلا أنه سمح لمن تجاوز سن 42 عاماً من غير المكلفين بخدمة الاحتياط مغادرة البلاد دون كفالة أو موافقة من مديرية التجنيد العامة.

أما بالنسبة لتأجيل الخدمة الإلزامية، فقد نصت المادة /10/ من القانون على ما يلي:

أولاً: تؤجل الخدمة الإلزامية للمكلفين لمدة سنة قابلة للتجديد في الحالات التالية: أ ـ طالب التحصيل الثانوي والعالي الذي يدرس في المدارس والمعاهد والجامعات الرسمية أو الخاصة المعترف بها داخل البلاد عند إتمامه الشروط الآتية:

1ـ أن يكون مواظباً على الدراسة منذ دخوله سن التكليف، يعتبر مؤجلاً دراسياً حتى نهاية العام الميلادي المكلف الحائز على الشهادة الثانوية خلال العام الذي يدخل فيه سن التكليف ويرغب بمتابعة الدراسة.

2ـ أن لا يتجاوز سنه الحدود الآتية:21سنة لطالب الدراسة الثانوية، 24 سنة لطالب المعاهد المتوسطة التي تكون مدة الدراسة فيها سنتان، 25 سنة لطالب المعاهد المتوسطة التي تكون مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، 26 سنة لطالب الكليات الجامعية التي تكون مدة الدراسة فيها أربع سنوات، 27 سنة لطالب الكليات الجامعية التي تكون مدة الدراسة فيها خمس سنوات والدبلوم، 29 سنة لطالب الطب البشري والماجستير في سائر الاختصاصات، 32 سنة لطالب الدراسات العليا " شهادة الدكتوراه " في سائر الاختصاصات.

يستمر تأجيل الطالب حتى تجاوزه السن القانونية القصوى المحددة للتأجيل خلال العام الدراسي حتى نهايته ويساق بعدها.

3ـ يلغى التأجيل الدراسي للمكلف إذا لم يجتز السنة الجامعية الأولى بنجاح خلال سنتين ويضاف إليها سنة واحدة لمن كانت دراسته بلغة أجنبية.

4ـ يجوز زمن الحرب إلغاء التأجيل الدراسي لجميع المكلفين بقرار من القائد العام.

ثانياً: تؤجل الخدمة الإلزامية للمكلف الذي يتابع دراسته الجامعية ودراسة الاختصاص والدراسات العليا خارج القطر على أن لا يتجاوز السن القصوى للتأجيل الدراسي المحددة بالفقرة السابقة مضافاً إليها سنتان.

ثالثاً: تؤجل الخدمة الإلزامية للمكلف الموفد للدراسة الجامعية والدراسات العليا وفقاً لما يلي: 1ـ يشترط أن لا يتجاوز سن المكلف الموفد عند البدء بالتأجيل الحدود التالية: 21 ـ سنة لحملة الشهادة الثانوية، 22 ـ سنة لحملة شهادة المعهد المتوسط، 27 ـ سنة لحملة الإجازة الجامعية التي تبلغ مدة الدراسة فيها /4/ سنوات، 28 ـ سنة لحملة الإجازة الجامعية التي تبلغ مدة الدراسة فيها /5/ سنوات، 29 ـ سنة لحملة شهادة الدبلوم أو سنة أولى ماجستير، 30 سنة لحملة الإجازة في الطب البشري، 31 ـ سنة لحملة شهادة الماجستير من كافة الاختصاصات.

أما التخلف عن تلبية الدعوة للسوق دون عذر مشروع فيوجب القبض على المتخلف، بدءاً من تاريخ تخلفه وحتى إتمامه سن 42 سنة، وتغريمه بما يعادل ضعف الراتب الشهري لجندي درجة أولى، أو إضافة مدة شهرين إلى خدمته، إذا كان تخلفه لمدة لا تتجاوز الشهر من بدء الترحيل.

وتزيد الغرامة المالية والفترة المضافة على الخدمة إلى 3 أشهر، في حالة المكلف المتخلف لمدة لا تتعدى 4 أشهر، على حين تضاف 4 أشهر لكل من تخلف لمدة أقصاها 6 أشهر.

ممرضات المشافي الميدانيّة: ملائكة الثوّرة!

■ محمد دحنون

هنّ قلّة: ولكن ذاك النوع من القلّة التي لا يمكن لـ "كمّها" أن يبرّر تجاهلها. هنّ قلّة: ولكن، مزدحمات برغبتهن في إيجاد مكان ودور في ثورة الشعب السوري، وفي قلب المواجهة العنيفة التي فرضها "نظام التشبيح" على الثوّار. لهذا السبب، وضعت كل واحدة منهن نفسها أمام مسؤوليتها كمشاركة في الثوّرة، لم تأبه لظروف عملها القاسيّة والخطرة، أملت عليها أمور كثيرة لا تبدأ بواجب أخلاقي ومهني ولا تنتهي بواجب ثوّري أن تقوم بهذا الدور: ممرضة في مشفى ميداني!

تمّ احتضانهن في مجتمعات الثوّرة الأهليّة، التي لم تكن "المواقف المسبقة" منها تسمح بفهم طبيعة موقفها من المرأة. وفي ظروف عمل قاسية، تفتقر إلى الحد "الأدنى" من الإعداد التقني الجيّد، هذا فضلاً عن الأخطار الكبيرة التي واجهنها، أقدمن على التجربة. تروي اثنتين منهما تجربتها في العمل بمشفى ميداني.

المشفى الميداني: علبة إسعاف منزليّة!

تتحدّث ميساء. ص، إحدى الممرضات اللواتي انخرطن مبكراً في العمل بمشفى ميداني، عن تجربتها. تبدأ حديثها بوصف واقع المشافي الميدانيّة التي يتم فيها علاج المصابين، فهي، بحسب ميسا "لا ترقى بمستواها التقني وأدواتها المتواضعة إلى مستوى المشفى الميداني الحقيقي". وتتابع" بل إنّ المشافي الميدانيّة، في الأماكن التي عملت بها على الأقل، أقرب لأن تكون علبة إسعاف منزليّة، وبالأخص في ريف دمشق". من جهتها، تعتبر مها العمري (اسم مستعار) أنّ المشافي الميدانيّة التي ارتجلها أطباء وممرضون وممرضات شجعان قد تمّ تنفيذها على عجل"، وتتابع "ولهذا كان من الطبيعي أن تكون التجهيزات على مستوى كبير من التواضع". ما كان يمنع تطوير المشافي الميدانيّة في بؤر الثوّرة الكثيرة هو النظام بالطبع؛ تشرح ميسا "الظروف الأمنيّة وسيطرة الجيش كانت تحول دون قدرة العاملين بالمجال الطبي على إعداد مكان مجهز بكافة احتياجات المشفى الميداني الذي يستطيع علاج كافة الإصابات الخفيفة والمتوسطة". وتضيف"معظم العاملين بإسعاف المصابين مهددين بالقتل مباشرة، وعملهم كان يتمّ إما في المنازل وأحيانا في الحارات الضيقة أو البساتين، في شروط لا توّفر الحد الأدنى من مستويات التعقيم أوالبيئة الصحيّة والنظيفة التي يحتاج إليها المعالج ليحمي الجرح من الإنتان".

تتكرر مها ما قالت له ميسا، وتؤكدّ على أنّ غياب التعقيم، الأمر الذي "يُعتبر أساسيّاً في عملنا، كان هاجسي الأوّل في بدايّة العمل، وسبّب غيابة الكثير من الصعوبات والإرباك".

لم يُتح للناشطين العاملين في المجال الإسعافي أن يطوّروا أماكن عملهم، وإن تفاوت الأمر نسبيّاً بين منطقة وأخرى، حيث تلعب درجة "تحرّر" البلدة أو المدينة من قوّات النظام دوراً في ذلك. تقول ميساء "كل المحاولات لتأمين مكان مجهز بأدوات ومواد وأدويّة طبيّة كانت تفشل نتيجة اكتشاف الأمن للأماكن ومداهمتها وسرقها واعتقال القائمين عليها. والظروف مستحيلة لتحقيق حالة مشفى ميداني متنقل (سيارة مثلاً) نتيجة التفتيش والحواجز".

وفي الحديث عن أبرز الصعوبات التي واجهتها كلاً من الممرضتين خلال تجربتهما، تكتفي مها بالقول" في الحقيقة، كان كلّ شيء صعباً"، تبتسم ثم تضيف" ولا أقصد بهذا الكلام القول أنّي متعبة أو أي شيء من هذا القبيل. ولكن (عن جد: كلّ شي كان صعب!)". أما بالنسبة لميسا التي لم تتح لها تجربة العمل في "المدن المحرّرة" فتقول "أصعب ما كنا نواجهه هو الدخول إلى الأماكن التي تتواجد فيها الإصابات. لا نملك سيارة خاصة. ولا نعرف الطرقات الفرعية لكل مكان، ثمّ كان هنالك انقطاع الاتصالات في المناطق الثائرة وسوء التنسيق أيضاً".

معنى التجربة: كثافة إنسانيّة.. وثوريّة!

تصف مها العمري الجزء المتعلّق باللحظات والمواقف الإنسانيّة بأنّه الجانب الذي تهتم به أكثر في تجربتها، فهي تقوم بتدوين تلك المواقف واللحظات كمذكرات يوميّة. وتقول "بصراحة، لا أحبّ الحديث كثيراً عن تلك اللحظات والمواقف"، تضحك ثم تتابع" ربما في الأمر شيئاً من الأنانيّة، ولكن الأمر يتعلق بدرجة عاليّة من الحميميّة والخصوصيّة التي تمنعني من روايتها دون أن أبكي!". تتوقف مها عن الحديث، ثمّ تتابع" أريد أن أقول شيئاً واحداً، أن تلك المواقف الإنسانيّة المؤثرة التي تختلط فيها مشاعر الألم والحزن والفرح والدهشة تمنحني الطاقة للاستمرار بهذه التجربة".

أمّا بالنسبة لميساء فتروي ما تصفه بأنّه أشد موقف إنساني أثّر بها ولا يزال، تقول"عندما وقعت مجزرة القابون الأولى، كان ثمّة شاب عمره 21 عاماً قد أصيب برصاصة في الصدر. كنت أضمد له الجرح، وكان يضحك عندما يتألم. سألته: هل كنتم تحملون سلاحاً؟ فأجاب: نعم. بالطبع أنا فوجئت. فضحك الشاب وقال لي (كان معنا بصل مشان الغاز المسيل للدموع بس طلع إنّه ما بينفع البصل مع الرصاص) وضحك"، تتابع ميسا قصتها مع الشاب" ثمّ سألني:(يعني شو بقدر أطلع الجمعة الجاي؟) أجبته: طبعاً لا. فتدخلت أمه وقالت (هناك رصاصة قديمة في رجله منقدر نعملا شي؟)، فرد وليد ضاحكاً:(انسي هي صرلا شهر)". تختم ميسا روايتها عن"علمت لاحقاً أن وليد أحتاج إلى خمسة رصاصات ليستشهد، وليقتل النظام فيه إصراره على العودة إلى الشارع. لكن صوت أمه ما زال ببالي حين قالت: (أي لكن شو مفكر الحرية ببلاش؟!)".

تتحدّث ميساء عن لحظات خوفها خلال العمل، تقول"في كل مرة أتوجه بها إلى مكان لعلاج مصاب، كنت أشعر أن الخطر كبير، ومن الممكن أن أتأذى أو أعتقل، فلا شيء آمن وما من ضمانة بأنك ستعود سالماً. فقد صدف أن حدثت مداهمات وأنا داخل المنازل أقوم بعلاج المصابين. الأهالي كانوا يخافون على الغريب القادم من خارج المنطقة كثيراً، وكانوا يشعرون أنهم معنيون بإعادته سالماً".

تنقلنا ملاحظة ميساء الأخيرة للحديث عن نمط التعامل الذي اعتمده أهالي المناطق الثائرة مع الممرضات. تقول مها" لم يبدر عنهم إلا كلّ ما يمكن أن يشعرني أنّني بين أهلي. كنت أشعر أنّي أعرفهم منذ أعوام كثيرة. ربما سهّل هذا الأمر عليّ الكثير". أما ميسا فتقول" لم أشعر بأيّة تمييز. على العكس، كان أهالي المناطق الثائرة ينظرون لنا كمن يقوم بعمل بطولي، وكانوا يقدّرون عاليّا عملي"، تضيف " أنا لا أضع حجاباً. وفي إحدى المرّات طلب مني أحدهم أن أرتديه لأذهب إلى إحدى المناطق، وعندما وصلت لأتفحص الإصابات، لاحظ البعض أنني غير قادرة على تحمل الحجاب، ففوجئوا من امتثالي لطلب الشاب، وطلبوا مني ألا أكرر ذلك. وقالوا لي أن الشاب الذي طلب منك ذلك طلب هذا بشكل فردي، ولك أن تتصرفي بكامل حريّتك".

تتابع ممرضات سوريا الثائرة، لاسيّما في المناطق المنتفضة كليّاً، عملهن الذي قد يصح وصفه بأنّه التجربة المهنيّة والإنسانيّة الأعمق والأرقى التي قد يخضنها. دورٌ كبير ومهمة نبيلة تثبت مجدداً أنّ نساء سوريا في قلب ثورتها.. وربما كنّ "قلب" هذه الثوّرة!

عن موقع: سوريات

النساء السوريات والثورة

■ ياسين الحاج صالح

عند التكلم على دور النساء في الثورة السورية يجري عادة ذكر أسماء معروفة سلفا لكاتبات أو فنانات أو ناشطات معروفات، أو لشابات اعتقلن بفعل نشاطهن العام. الثورة وسعت قائمة الأسماء هذه، لكن مع بقائها تدور في فلك الشهرة والأسماء المكرسة. هذا مدخل نخبوي، محاب لنساء من الطبقة الوسطى، يلعبن دورا عاما، ويحظين بقدر من الحصانة أو الحماية النسبية. هذا بينما تبقى وراء ستار كثيف من الصمت نساء كثيرات، أسماءهن غير معروفة، يتحملن أكثر من غيرهن أعباء الأبناء المعتقلين أو الشهداء، والأسر المحطمة، والمسكن المدمر واللجوء إلى مناف غير ودودة عموما. ليس الرجال في أوضاع أفضل، لكن المبدأ العام أن العنصر الأضعف اجتماعيا، النساء، هو من يدفع عادة ثمن الأوضاع الأقسى.

وإذا كان صحيحاً أن نسبة الشهداء من الرجال تفوق كثيرا نسبة النساء الشهيدات، وأن نسبة المعتقلين الرجال تفوق أكثر نسبة النساء المعتقلات، فإن هذا يحيل إلى توزيع أدوار غير مفاجئ، يشغل الذكور فيه عموما موقع الحماية والخروج إلى الفضاء العام، بينما تتولى النساء أنشطة مساعدة غير ظاهرة، تتصل بالإسعاف والإغاثة والدعم المباشر. تسهم نساء في المظاهرات أحيانا، لكن من ينظم المظاهرات ويرتب المشاركة النسائية فيها رجال.

على أن ما يعادل قتل الرجال في مجتمعنا ليس قتل النساء، بل اغتصابهن. والمؤشرات المتاحة تفيد أن هذه المسلك الإجرامي يزداد انتشارا بدرجة نقدر أنها تتناسب طردا مع ظهور طابع أهلي للصراع في سورية. الاغتصاب ليس فعل تدمير للنساء المعنيات، لكنه أيضا إلحاق للعار بأسرهن ولبيئاتهن الاجتماعية. اغتصاب نساء وقع بصورة أساسية في حمص، في بابا عمرو وكرم الزيتون، حيث دشن النظام سياسة الأرض المحروقة. وكان من بين المغتصبات طفلات، وبعضهن اليوم حوامل.

لا جدال أن دور النساء العام، بما في ذلك الخروج إلى الفضاء العام، أكبر أثناء الثورة من أي وقت سبق في سورية. ويمنح هذا الدور عددا أكبر من النساء إحساسا بذواتهن وثقة أكبر بالنفس واستعداد أقوى للتواصل بين بعضهن والعمل المشترك لغرض عام ودون إشراف رجالي. ومن شأن ذلك أن يعدل من "موازين القوى" الجنسية داخل العائلة والمجتمع. المرأة التي تقوم بدور عام نافع يرتفع احترامها لنفسها، فلا تنضبط بدور التابعة التي لا تحرك ساكنا إلا بأمر الزوج وتحت إشرافه. بيد أن هذا التقدير العام تخميني، وهو محتاج إلى دراسة حالات مفردة كثيرة من أجل الخروج بنتائج موثوقة.

هل يحتمل أن تقود الثورة السورية إلى تغير مهم في مكانة النساء في المجتمع السوري؟ لها دور متناقض في هذا الشأن. من ناحية توسع قاعدة الاهتمام بالشأن في أوساطهن وتشكل تجربة مكونة لعدد لا بأس به من النساء الشابات، لكن البيئات الأشد تماهيا بالثورة هي بيئات متدينة (مسلمة سنية)، ونزاعة بقوة إلى الفصل بين الجنسين وإبعاد النساء عن الفضاء العام والشأن العام. المحصلة غير محددة. الأمر يتعلق بالديناميات الاجتماعية والسياسية التي يؤمل أن تحررها الثورة السورية.

أما إذا دُفعت الثورة في مسارب نزاع أهلي مديد، فسيقوي ذلك من وزن الروابط الأهلية السياسي، وسيضعف بالقدر نفسه النساء في كل البيئات.

وعموما، تتناسب مساحة دور النساء طردا مع سلمية الثورة، وتضيق مع صعود الطابع المسلح لها. الحرب نشاط ذكوري، ومعزز لدور الذكور والقيم الأبوية في المجتمع العام وفي الحياة الخاصة. هذا فوق أن العسكرة تسير عموما مع التدين (على نحو نلحظه مكثفا في أسماء الجمع)، وتاليا مع النزوع إلى تثبيت أدوار نمطية للنساء، تشترك في عزلهن عن المجال العام.

ثم إن المؤشرات تتكاثر على تدهور مقدرات وشروط عيش قطاعات متسعة من السوريين، بخاصة في المناطق التي تعرضت لأشد التنكيل من جانب النظام. لا تزال الأوضاع السياسية والأمنية تغطي على المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، لكن هذا الصنف الأخير من المشكلات هو الأوسع والأطول أمدا، والذي سيواجه سورية في مستقبل قريب. وهو أيضا ما ستعاني منه القطاعات الأضعف من المجتمع، الفقراء وسكان العشوائيات، والنساء. وقد يظهر على شكل تفكك أسري وجنوح ومخاطر متنوعة، تطال النساء أكثر من غيرهن.

وحده انتصار الثورة السورية والتخلص من نظام الطغمة الفاشية يمكن أن ينصف آلام السوريين، بخاصة، والسوريات بخاصة، وإن فتح أمامهم حتما باب التحديات الصعبة لبناء حياة جديدة.

عن موقع سوريات

■ جمال منصور

حينَ تبدأُ الملائكةُ
بالتساقطِ
كالمطرِ الخفيفِ، كالمطرِ الأثيري
الـ لم يعُدْ يزورُ هذي البلادِ
طويلاً
طويلاً
نحو الأعلى؛
حين ينفتحُ بابُ اللّهِ، عريضاً،
على مصراعيهِ الصدئين
الـ لـم يفتحا في وجهِ دعاءِ الجداتِ / شتائمِ الكفرِ/ الابتهالاتِ الخانعةِ، الخاشعةِ، الكاذبةِ، الذليلةِ
دهوراً،
سننظرُ
- أنتَ، وأنا -
بهدوءٍ
وتسليمٍ
وإيمانٍ بلا أي جذورٍ،
ببلاهةِ من يعرفُ حتميةَ الأشياءِ
إلى الأفقِ الـ ينفتحُ،
فجأةً،
سنمشي تحت هذي الغيومِ المخاتلةِ
كنهرينِ من دمٍ / ونبيذٍ / وأغانٍ / وكلماتٍ من نفسِ العائلةِ،
بلهجتينِ / وجَبينِ مرٍ كالحنظلِ / وذراعينِ، ينثرانِ نشوةَ الربيعِ، والماءَ المقدسَ، وعبيرَ الألوهةِ
ونرقبُ السقوطَ الأخيرَ
للكنائسِ السوداءِ
في "كريشيندو" عملاقٍ،
ثم نجلسُ، في مكاننا
بمنتهى الاعتياديةِ
كأي مفتاحَيْ بيانو
ننتظرْ...

* * *

الظلمُ واحدٌ، القهرُ واحدٌ، الدمُ السوري والفلسطيني
واحدٌ
واحدٌ
واحد..

(مهداةٌ إلى الورود العشرةِ الـ تساقطت في مخيم اليرموك، يومَ 13 تموز 2012)

يعني مين مفكّر حالك؟

■ إيمان البغدادي

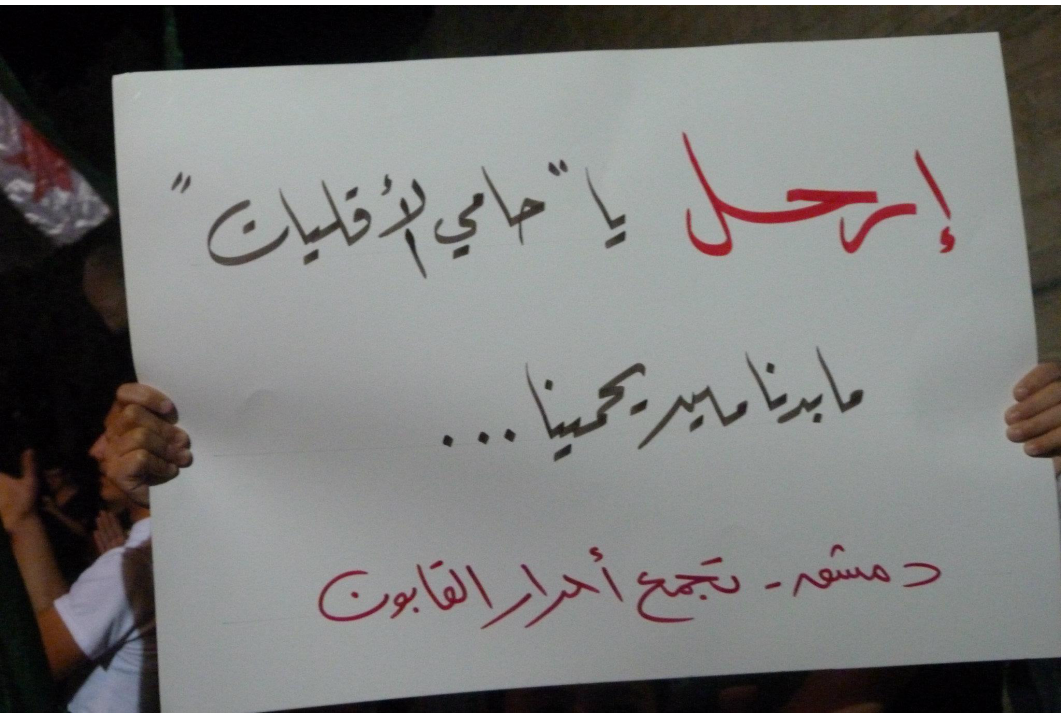

لقد نشأنا في مجتمع لديه بلا شك الكثير من الخصال الحميدة كالكرم والمحبّة واللهفة والشهامة.. لكنه أيضاً مجتمع يعاني من أمراض اجتماعية مزمنة وكثيرة. هذه الأمراض التي تجد لها غالباً تربة حاضنة وخصبة في الدول الديكتاتورية التي تقمع الإنسان وتُشعره بأنه تابع لها بالإضافة للجهل والفقر والانغلاق.. الخ. وكي نكون قادرين على معالجة هذه الأمراض يجب علينا أولاً أن نعترف بها ونتحدث عنها بكل جرأة وشفافية، وإلا فنحن لن نستطيع أن نجد لها حلولاً كفيلة بمعالجتها ومعالجة صحتنا النفسية المغتصبة والمخترقة والمنهكة. أحد هذه الأمراض الاجتماعية هو مرض "التحقير" حيث يقوم البعض باحتقار الآخر والاستهتار بأفكاره وآراءه، بل الاستهتار بإنسانيته حتى، هذا المرض الذي يقود الإنسان إلى أن يتصرف مع الآخر بتكبر واستعلاء قبيح حيث يصنف الآخرين ضمن تصنيفات لاإنسانية تحط من كرامة الفرد. تقريع الآخر وتصغيره وتحجيمه وتقزيمه أصبح من التصرّفات العادية التي قد نقوم بها في اليوم الواحد مراتٍ عدّة دون أن يؤنبنا ضميرنا أو نشعر أننا نتصرف بأسلوب لإنساني ولاأخلاقي.

أعتقد أننا جميعنا نعاني من هذا المرض لكن بدرجات متفاوتة في الخطورة فلقد تمت تربيتنا وتنشأتنا منذ نعومة أظافرنا بطريقة تقمع شخصيتنا وتضطهدنا وتُشعرنا دوماً بالنقص والدونية. ولأن الإنسان كالأرض تُنبت ما يزرع بها لذلك نحن بدورنا نتعامل مع الآخرين المحيطين بنا بنفس الطريقة دون أن ننتبه أو ندرك ذلك.

كم مئة ألف مرة سمع الواحد منا أو استخدم شخصياً على سبيل المثال هذه المصطلحات في محادثتنا:

وسأوردها باللغة العامية كما نستخدمها: "يعني مين مفكّر حالك؟ شوفوا مين أجى يحكي؟ لابقلك تحكي وتعطيني آراء، يعني لابق للشوحة مرجوحة ولابو بريص قبقاب، بلا فزلكة ولا تتحفنا بآرائك. إي بلا علاك ونقطنا بسكوتك. كلّك على بعضك ما بتسوا ربع فرنك بعزّ الغلا،.. الخ"

هذه العبارات العنيفة التي نستخدمها بكثرة بطريقة مقصودة أو غير مقصودة هي محاولة لتغطية أمراضنا وعقد النقص التي نعاني منها حيث نحاول تقزيم الآخر وتحقيره وتحقير أفكاره وإنتاجه لنرى أنفسنا أهم وأكبر وأعظم. هذه الممارسة كفيلة بتحطيم شخصية الإنسان الذي يتلقى ويسمع هذه العبارات القاسية وللأسف فنحن نستخدمها بشكل عادي وكأن تحقيرالآخر وتحطيمه أصبح جزء لا يتجزأ من حياتنا اليومية.

يبدأ هذا التجريح والتقزيم من العائلة حيث يترعرع الطفل في بيئة على الرغم من أنها مُحبّة لكنها على الغالب لا تحترم أفرادها بالشكل الحقيقي والكافي ولا تعرف شيء عن أساسيات تربية الطفل والصحة النفسية. الأب يتعامل مع زوجته وأطفاله وكأنه الآمر الناهي، يهين ويجرح أفراد أسرته رغم أنه يحبهم لكنه حب مريض وحب متسلط. في كثير من الأحيان قد ينتقد الزوج زوجته أمام الأطفال أو أمام الأصدقاء وينعتها في غيابها بالثرثارة أو يستهزئ على مقترحاتها. الأبوين بدورهما يسكتان الطفل الذي يسأل ويقترح كونه مجرد طفل صغير لا يفهم شيء بنظرهما، وإذا اعترض هذا الطفل على أحد الأوامر يُعنف إمّا تعنيفاً لفظياً أو جسدياً وأحياناً الاثنين معاً. هناك الكثير من الخلل في تربية أطفالنا ويبدأ هذا الخلل من شعور الأهل أنهم يمتلكون أطفالهم وهذه بصراحة طريقة ديكتاتورية لا تختلف عن الطريقة التي يعاملنا بها الديكتاتور الحاكم حيث يعتبرنا ملكاً له ويفرض علينا كل شيء ويدعي أنه يعرف ماهو الأفضل لنا حتى وإن كان هذا الأفضل هو الجحيم. فنحن نقرر عن أطفالنا وكأنهم بلا عقل أو بلا أفكار. نريد أن يلبسوا مانريد وأن ينتموا للدين الذي ننتمي إليه، نريد أن يفكّروا مثلنا وأن يدرسوا الاختصاص الذي يعجبنا، نريد أن يتزوجوا من الشخص الذي نختاره لهم ونريد ونريد.. وننسى أنهم أشخاص مستقلين لديهم إرادة حرة ومستقلة. ودورنا هو التوجيه والنصيحة وليس أكثر.

في المدرسة إذا كتب الطالب موضوع تعبير جيد تقول له المُدرسّة: "مين كتبلك الموضوع، أمك ولا أبوك؟" وتبدأ التحقيقات معه وكأن لص، وبدل أن يتم تشجيعه على أفكاره وتحفيزه تتم محاصرته وتحقيره وإفهامه بأنه غبي وغير قادر على الكتابة بهذا المستوى. مثل هذه الممارسة كفيلة أن تجفف منابع الإبداع وأن تشوّه شخصية هذا الطالب حيث يفقد الثقة بنفسه ويشعر بالانكسار والخيبة.

ولننتقل إلى أجواء الثورة حيث أرسلت لي إحدى الصديقات الكاتبات رابط لمقال جميل جداً والحقيقة استمتعت جداً بقراءته، لكن المحزن أنها لم ترسل لي هذا المقال لأقرأه بل كتبت قائلة: " شوفي فلان.. مفكر حاله أديب وبلّش يكتب مقالات الأفندي. واللّه هادا يلي كان ناقصنا".

أُصبت بالحزن الشديد وطبعاً أرسلت لها رداً من دوره أن يصفعها ويوقظها من عنجهيتها وداء العظمة المصابة به، فإن كانت هي كاتبة معروفة فهذا لا يعني أن تنظر للآخرين بدونية وتعتقد أنها وحدها الأفضل. أعتقد أنها لم تقرأ المقال حتى لكن اسم الكاتب الغير معروف أزعجها، فنحن لدينا هذه المشكلة حيث نقرأ اسم الكاتب قبل أن نقرأ المقال وفقط إن كان الاسم معروفاً يصبح للمقال قيمة وأهمية. وأقولها بصراحة ودون تردد حيث أنني قرأت أجمل المقالات خلال هذه الثورة لكتّاب وكاتبات لم أسمع باسمهم في حياتي كلها. لكن هذه العُقدة موجودة لدى عدد ليس بالقليل من المثقفين في مجتمعنا وهذه العقدة زادت من مرضهم النفسي الذي كنت أتحدث عنه فأصبحوا يعانون من مرض مركّب ومعقد.

في أغلب الأحيان نحن لا ننتقد الفكرة بل نهاجم صاحبها ونحاول النيل منه ومحاربته شخصياً ونتمادى أحياناً في تأليف الإشاعات عنه وإيذائه. وهذه الممارسة لا تختلف عن الطريقة التي يتعامل بها الأمن معنا حين يفتح ملفنا الأمني والذي يحتوي أشياء قمنا بها وأشياء أخرى كثيرة هو قادر على تلفيقها حين يريد. الأمن يفتح ملفاتنا الأمنية ونحن نفتح الملفات والسجلات الشخصية ونبدأ بالهجوم الشرس وخلال هذه الثورة أصبح لدينا أمثلة كثيرة من هذا النوع بين المعارضين المستعدين للتشهير والتخوين بشخص آخر لمجرد أنه لا يتفق معهم أو مع آرائهم.

هناك الكثير من الأمثلة المريرة التي مرت بحياتنا فقتلت جرأتنا وتفرّدنا وأذلتنا وأشعرتنا أننا لا نساوي شيء سوى صفر على الشمال. فبتنا نحن أنفسنا نشكك بقدراتنا ونقول لأنفسنا أحياناً " صحيح واللّه مين أنا؟" وحين ننتقد عيوبنا ونتحدث عن مشاكلنا بشفافية فنحن لا ننتقص من قيمتنا ولا نقلل من شأننا بل نكون قد قررنا أن نتخذ الخطوة الأولى نحو الأمام كي نجد لمشاكلنا وأمراضنا علاجاً وحلولاً حقيقية بعيدة عن المكابرة والترقيع وكي نكون قادرين على الاستمرار في عملية التغيير والتطوير الذي لا يقف عند حد ولا عند زمن. شخصياً أؤمن بالإنسان وبأن له القيمة الأعلى والأثمن في الحياة وأؤمن بأن كل إنسان فريد ومميز ويمتلك طاقات مذهلة ورائعة قادرة أن تجعل من حياته وحياة الآخرين أفضل وأجمل. فلنعلنها ثورة على الذات أيضاً وثورة على أمراضنا وعللنا كي نسعى للشفاء منها ولنكون قادرين على أن نحيا حياة سوية وكريمة تليق بنا.

عن موقع: سوريانا

السجون السورية والمثقف الجديد

■ الياس خوري

لعل الدرس الأكثر بلاغة الذي تعلمته، ولا أزال أتعلمه، من ياسين الحاج صالح، هو التواضع المصحوب بالغنى الفكري والالتزام المبدئي، الذي يجعل من المثقف ضميراً أخلاقيا وقدوة ومرجعاً. أذكر أنني التقيته للمرة الأولى في دمشق، وبعد إصراري على الكلام عن تجربة سجنه الطويلة، اكتفى الرجل بأن تحدث عن كاحليه. رأيت السجن محفورا بشكل مادي وواضح على الكاحلين من اثر الربط بالكابلات الكهربائية. وعندما أردت المزيد اكتفى الرجل بابتسامة قصيرة، وغيّر الموضوع.

ثم إلتقيته مرة ثانية يتيمة في بيروت، قبل أن يصدر قرار منعه من السفر، وتحولت لقاءاتنا بعد ذلك إلى تواصل ثقافي / سياسي عبرت عنه تجربة نشر مقالاته في 'الملحق' الذي كان يصدر عن جريدة 'النهار' في بيروت، قبل أن تضطرني الظروف المنقلبة إلى مغادرته.

اكتشفت هذا الرجل من جديد مع انطلاقة الثورة السورية، صار ياسين احد أصواتها المميزة، بل أكاد أقول صوتها الثقافي الأكثر عقلانية ووضوحا. مع هذه الثورة تعرفت إلى مثقف يمزج الشجاعة بالحس النقدي، والوضوح بحساسية إنسانية مرهفة. لم يغادر ياسين وطنه، اختار الطريق الصعب، مقدما الإشارة الأولى إلى ولادة مثقف سوري جديد، مثقف ما بعد المعارضة التقليدية القديمة. يولد هذا المثقف في العمل السري الذي يحوّل النضال إلى فعل علني، جاعلا من الكتابة سلاحا في مواجهة السلاح الذي يقتل به النظام الشعب الثائر ويدمر مدنه وقراه.

صارت صفحة ياسين على 'الفايسبوك' إحدى نوافذنا اليومية على سورية التي تولد من جديد، وصار مقاله الأسبوعي في 'الحياة' مؤشرا على احتمالات الثورة. معه ومع أمثاله من المثقفين والمناضلين صارت الكلمة فعلا، والحرية أفقا، والثورة طريقا.

لا شك أن ياسين الحاج صالح يعرف انه يساهم في كتابة تاريخ جديد لبلاده، وان عمله الكتابي والثقافي سوف يشكل احد مراجع تاريخ الثورة السورية، كما انه يعرف أن هذه الثورة هي صرخة الخلاص الحقيقية التي انتظرتها سورية طويلا.

عنون ياسين كتابه عن تجربته في السجن ب 'بالخلاص يا شباب'، (دار الساقي بيروت)، لكن عبارة الخلاص هذه تأخذنا إلى ما بعد السجن، وتكشف لنا كيف استطاع المثقف أن يقرأ تجربته بعين نقدية، وكيف صارت هذه العين هي بداية الرؤية التي تشق طريق الثورة وتتفاعل معها وتكتبها.

قرأت كتاب ياسين الجديد في وصفه استكمالا لكتابي 'خيانات اللغة والصمت' لفرج بيرقدار و'القوقعة' لمصطفى خليفة. يروي الكتابان تجربة السجن والمعاناة في جحيم سجن تدمر الرهيب، بينما يقوم ياسين الحاج صالح في كتابه 'بالخلاص يا شباب' بتفكيك التجربة وتحريرها من اطلاقيتها، ليحولها من تجربة استثنائية الى تجربة حياة، فاستبطنها وتجاوزها مقدما قراءة جديدة لتجربة السجن السياسي في سورية والعالم العربي.

لن يوافق ياسين الحاج صالح على إطلاق صفة أدبية على كتابه، لكن إذا لم يكن الأدب رؤية واستشرافا ومعرفة وسلاسة إنسانية، فماذا يكون؟

استخدمت كلمة سلاسة ليس كصفة للأسلوب الجميل والبسيط والمباشر الذي كتب به ياسين فقط، بل كصفة للمعنى الإنساني العميق الذي ينضح به النص. سلاسة إنسانية تأخذنا إلى تأمل تجربة السجن، والى تجاوز البطولة إلى الحياة نفسها. فالحياة تضيق بالبطولة حين تكتشف فضائل صناعة اليومي، وهذا المزيج من الضعف والقوة، الذي يحوّل السجن إلى جزء من تجربة الحياة نفسها، محررا السجين من سجنه والكلمات من قشورها.

يشكّل هذا الكتاب انزياحاً فعلياً في أدب السجون العربي، لا لأنه يروي تجربة بطولية خارقة، بل على العكس من ذلك تماما، لأنه يروي تجربة إنسانية عادية، محولا الإنساني إلى بديل عن الأسطوري، وصناعة الحياة اليومية إلى أفق للمعاني التي تمتلئ بها التجربة الفردية والجماعية.

ما رواه ياسين عن تحرره في السجن من سجونه الأخرى، وما أطلق عليه اسم تجربة الاحتباس، وما قدمه من تحليل سوسيولوجي لتجربته وتجارب أقرانه، يقوم بفتح أبواب الحرية على مصراعيها، فالرجل الذي بنى كتابه على ما يمكن وصفه بالاعتراف التأملي، وضع للمرة الأولى تجربة سجن اليساريين السوريين في الثمانينات في إطار تاريخ سورية. (للأسف لم يستطع الكاتب الوصول إلى إدراج تجربة السجناء الإسلاميين في كتابه، وهذا يعود إلى أسباب إيديولوجية، شرحها الكاتب، جعلت من هذه التجربة بكماء).

ترويض الوحش والثورة على الذات واكتشاف الثقافة والحياة، هذه هي تجربة طالب كلية الطب الذي دخل السجن فتى في العشرين، وخرج منه بعد ستة عشر عاما وأربعة عشر يوما رجلا ومثقفا في السادسة والثلاثين.

'في السجن تبدّى لي أن أفضل طريقة للتحرر منه هي جعله إطاراً للتحرر من سجون أخرى، نحملها في أرواحنا وعقولنا: سجن الإيديولوجية وسجن الحزب وسجن الأنا'.

يقود هذا التحرر إلى تفكيك إيديولوجية السجن وأساطيرها: 'وبقدر ما يمحو السجن الفردية، فان واجب الكتابة عن السجن هو، بالعكس، شق بطن هذا الوحش واستخراج الأفراد منها واحدا واحدا'.

في الفصل الذي يحمل عنوان: 'عن مثقفي السجن' بالأحرى لا عن سجن المثقفين'، يشير المؤلف إلى حقيقة صارخة تقول أن المثقفين السوريين لم يدخلوا السجون لأنهم استخدموا رصيدهم الثقافي أو رأسمالهم الرمزي للاعتراض على سياسات عامة، إما اعتقال بعض المثقفين 'فقد تم بسبب انخراطهم أو قربهم من تنظيمات سياسية معارضة'. تشير هذه الحقيقة الى عطب ثقافي كبير لم يعالجه هذا الكتاب، لأنه ركز على ظاهرة جديدة وربما فريدة، وهي أن السجن الذي تعرّض له حوالي ألف شاب يساري كان الرحم الذي ولد منه جيل جديد من المثقفين السوريين، هو الجيل الذي ينتمي إليه ياسين ورفاقه.

الآن ونحن نقرأ الكتاب على إيقاع الثورة السورية بتضحياتها الهائلة نكتشف المسافة الكبرى بين المستوى السياسي للمعارضة السورية الغارقة في الانانيات والتمزق وفقدان المبادرة، وبين النموذج المضيء الذي تصنعه تضحيات شعب ثائر قرر الخلاص من الاستبداد، ومواجهة آلة الوحش المعدني بالصمود والصبر.

هذه المسافة لا يستطيع أن يتجاوزها سوى انخراط المثقف السوري الجديد في عمل نقدي ينطلق من مشاركته في الثورة.

تحية إلى ياسين الحاج صالح.

القدس العربي 9 / 7 / 2012

في فساد النظام وإفساده.. (أول مرة بعرف شو هي الرشّوة)

■ محمود محمود

روى لـي صديقـي الجولاني، أنه ذات مسـاء من صيف دمشـق، حيث لم يمض على وجوده فيها سوى بضعة أسابيع قليلة... أنه كان عائداً من محل لبيع الكحول، يحمل في يده كيسـا فيه قنينة عرق يداريها بأنامله كي تنجو من الكسـر و تلبي سهرة أصدقائه نصف السكارى المنتظرين عودته في بيت من بيوت الشام.

صديقي هذا، يداري نظافة البلد أكثر من مداراته لنظافته الشخصية، فيرفض أن يرمي بأعقاب السجائر في الشارع كما أفعل أنا ويفعل غالبية السوريين، ويصر دائمـاً عـلى وضعها في جيب بنطاله حتـى يبلغ مكاناً يُفرغ فيـه "حمولته" النتنة، وغالباً ما كان هذا المكان غرفته المتواضعة الصغيرة.

وقف عندك!!!! صرخ احد العناصر الغارقين في مللهم فجأة!! وين رايح؟!!!

فاستجاب صديقي على الفور.

وين رايح؟!!

- واللّه سهران أنا ورفقاتي، وآخذ معي قنينة عرق.

شوه؟!! عرق!! وعم تسكر بالشارع؟!!..

- لك لا لا رايح عالبيت، ليكو بيتي هونيك.

هات هويتك ولاك!

- ما معي هوية، أنا من طلاب الجولان وجيت جديد وبعدن ما عطوني هوي...

خرااس!! ما معك هوية كمان؟!!!!!!

وقبل أن يكمل الجملة، انقض عليه عنصر الأمن كضبع ينقّض على ظبي! وبدأ بتفتيشه شعرة شعرة. !

ولك وحشاش كمان!!! صرخ العنصر وهو يُخرج أعقاب سجائر من جيوب بنطال صديقي..

- لك له له!! طول بالك شوي، خليني اشرحلك!!

خراس ولك!

صوت الكلبشات يُسكت الشاب المصدوم من هول جرمه المجهول الذي ارتكبه! ويجد نفسه مكبل الأيدي، مصلوب القوام، لا حول له ولا قوة.

بعد سـجال وكلام أخذ ورد، وبعد أن تأكد عنصر الأمن بأن صديقي غريبٌ عن سوريا وجديدٌ في الشام، قال له: واللّه بيطلع عليك 500 ليرة ضريبة!

- ضريبة؟!! ضريبة شو؟!! يجيب صديقي مستهجناً.

هيك أخي ضريبة! ضريبة للحكومة، بدك تدفع ولا أشحطك تنام عنا الليلة؟!!

- لا لا شو نام عندكن، خلص أوك رح ادفع، طول بالك شوي... !

بس لو سـمحت، في مجـال تعطيني وصل بال500 ليرة، يعني شـي يثبت أني دفعـت الضريبة مشـان ما حدا يوقفني بعد مرة، لأنو فـي كمان دورية هنيك قبل بيتي، بلكي وقفوني بعد مرة.

ينظر إليه عنصر الأمن مشدوهاً، يكاد للحظة أن ينـفلج من هول ما سمع!!!..

وصل.... ؟ وصل شو؟!!

- وصل بالمبلغ الي رح أدفعو.

يتأتئ العنصر، ويتلعثم بلسـانه: آه وصل!! أي أي، ثواني بس لأسـألك الشباب وين حطو دفتر الوصولة.

يركض نحو الأوبيل الستيشن المركونة عند زاوية الشارع، ينحني عند نافذتها الأمامية، ويهمهم مع الضابط الجالس في السيارة.. ثم يعود.

أخـي مافي وصل، دفتر الوصولة مـو هون، ليكو بالمفرزة بتحب تروح تنام عنا ومنعطيك اياه بكرا الصبح؟ (يسأل مبتسماً)

- لـك لا لا أخـي خلص بلا وصل خلص، وهـي 500 ليرة، بس فكلي هذول من إيدي.

مبتسـماً، يسحب العنصر ال500 ليرة من يد الفريسـة، ويوغل مفتاح الأصفاد في فتحتهـا، ويفتلها بعنف، فينكسـر المفتاح في غمده، ويطلـق العنصر ضحكة تلعلع في سماء تلك الليلة الساكنة!

لك نكسـر المفتاح!! شـو نعمل هلق؟!! ها ها ها ها.. واللّه شـكلك رح تنام عنا الليلة!

- يسـتر علـى عرضـك شـو نـام عندكـن؟ دبّرها لـك أخـي، دبّرها الشـباب ناطريني!!!

بعد بحث مرهق وطويل، يجد العنصر ضالته: سلك معدني صدئ، قطره ملائم لفتحة المفتاح!!.. وجدتها!!

ليكها الشريطة، واللّه أنت حظك من السما!!

يدخل السـلك، يفتله قليلاً، وبرمشـة عين، يفتح قفل الأصفاد ويتحرر معصما صديقي النحيلين.

- خيييي... يسلمو، شكراً كثير.

بعـد أن أكمـل سـيجارته المتوتـرة المرعوبة، ينظـر صديقي فـي عيني ذلك العنصر، يمسك فيلتر السيجارة بين إبهامه ووسطاه، ويقذف بها بقوّة في الشارع الوسخ ويقول: وههههه!! وهي السيجارة!! وكس إخت النظافة!!

يضحك العنصر..

يبكي صديقي..

ويغادران.

صبحي بركات الخالدي 1889 - 1940

■ ياسر مرزوق

ولد صبحي بيك بركات الخالدي في أنطاكية عام 1889، وتعلم في المدارس العالية في الأستانة، لينتقل بعد ذلك عام 1917 للإقامة في حلب التي أتم علومه فيها، وفي عام 1919 مثل أنطاكية في المؤتمر السوري العام الذي انعقد وأعلن قيام المملكة السورية العربية. ومع نهاية الحكم الفيصلي انضم صبحي بركات إلى الثوار على فرنسا رفيقاً لإبراهيم هنانو خصوصًا في الفترة الواقعة بين أيار 1919 وتموز 1920، ثم توسط " محمود الشركسي" أحد وجهاء حلب لإيقاف قتاله لفرنسا، بعدها زار بركات وبوساطة من الشركسي بيروت والتقى خلال زيارته هنري غورو ومن ذاك الوقت أخذ يميل بموقفه إلى جانب الانتداب حتى حُسب على المؤيدين له، وهو ما حوّل صداقته لهنانو لعداوة وتنافس شديدين.

والجدير بالذكر أن الفرنسيين قاموا بتقسيم سوريا إلى ست دويلات:" دولة دمشق، دولة حلب، دولة العلويين، دولة لبنان الكبير، دولة جبل الدروز، دولة لواء اسكندرون المستقل " كانت هذه الدويلات في بادئ الأمر مستقلة تماماً وبسبب الرفض الشعبي للتقسيم واتفاق الجميع على القومية السورية وعدم الاعتراف به، قامت فرنسا في عام 1922 بإنشاء اتحاد فيدرالي فضفاض بين ثلاث من هذه الدويلات "دمشق وحلب والعلويين" تحت اسم "الاتحاد السوري"، وفي الشهر الأخير من عام 1924 قرر الفرنسيون إلغاء الاتحاد السوري وتوحيد دولتي دمشق وحلب في دولة واحدة هي دولة سورية، وأما دولة العلويين فقد فصلت مجدداً وعادت دولة مستقلة بعاصمتها في اللاذقية.

كان صبحي بركات حاكماً لدولة حلب عام 1921 حتى عام 1922، ثم شغل منصب رئيس الاتحاد السوري الذي أعلن عن ميلاده "هنري غورو" كاتحاد فيدرالي بين دولة دمشق ودولة حلب ودولة جبل العلويين، فبموجب قرار تأسيس الاتحاد فإن هيئة تأسيسية مؤلفة من خمسة عشر عضوًا " خمس أعضاء عن كل دولة " يشكلون المجلس الاتحادي، وكان بركات أحد ممثلي دولة حلب، وفي نفس يوم إعلان الاتحاد التأم أعضاء الهيئة التأسيسية في حلب وانتخبوه رئيسًا للاتحاد وقد جمع رئيس الاتحاد مهام تشكيل ورئاسة الحكومة إلى مهامه، إلى جانب وجود مجالس تمثيلية وحكومات فيدرالية داخل المقاطعات الثلاث المكونة له، ولعل من أبرز إنجازات بركات خلال رئاسته الاتحاد، استحداث الدرك السوري وإصدار العملة الورقية السورية وذلك في آب 1922 بموجب اتفاق مع دولة لبنان الكبير ودولة جبل الدروز.

كما تأسست في عهده جامعة دمشق رسمياً، التي يرجع تأسيسُ نواتها "المَدْرسة الطبية العثمانية" إلى عام 1903، هي كبرى الجامعات السورية وأمُّها وأولُ جامعة حكومية في الوطن العربي ورائدة التعريب. وقد صدرَ في دمشقَ القرارُ رقم 132 تاريخ 15 حزيران 1923 عن صبحي بركات الخالدي، رئيس اتحاد الدول السورية والذي يقضي بإنشاء الجامعة السورية.

في عام 1922 شكل بركات حكومةً كان محمد علي العابد وزيراً للمالية فيها، وأثناء تواجده في دمشق عزم بركات على الزواج من الآنسة " ليلى العابد" ابنة وزير المالية " محمد علي العابد" وتم القران في قصر العابد بدمشق بحضور وجهاء من مختلف الدول العربية، وقبل تعيين الزفاف وقع خلاف بين الطرفين، انتهى بالطلاق، ثم تزوج من آنسة تركية وهي كريمة "رشدي باشا" الوزير التركي في عهد السلطان عبد الحميد.

بعد استدعاء هنري غورو إلى فرنسا وتعيين "فيغان" مفوضًا فرنسيًا، طالب السوريون بالوحدة، وقد استجاب فيغان لطلباتهم وأعلن قيام "الدولة السورية" المكونة من دولتي دمشق وحلب، وذلك في 24 كانون الأول عام 1924، وقد جاء في مرسوم استحداث الدولة أن يكون بركات رئيسًا لها لمدة ثلاث سنوات أي حتى نهاية 1927، لكن مع اندلاع الثورة السورية الكبرى عام 1925 وامتدادها من السويداء جنوبًا نحو دمشق ثم حماه، وما رافق ذلك من قصف لدمشق وتعيين دي جوفنيل مفوضًا ساميًا، ثم مقاطعة الانتخابات التأسيسية، لم يجد بركات مفراً من الاستقالة من الرئاسة موجهاً كتاب استقالة للفرنسيين فيه الكثير من المطالب الوطنية، كإلغاء الانتداب وضم حكومة اللاذقية وجبل الدروز لدولة سوريا وغيرها من مطالب وطنية، ويقال أن كتاب الاستقالة كان من صياغة " الدكتور نجيب الأرمنازي".

عاد بركات للإقامة في حلب وفي عام 1926، وقد خاف الفرنسيون من امتداد الثورة السورية الكبرى إلى حلب، فأعلنوا على سبيل التهديد، أنهم سيجرون انتخابات نيابية محلية بحلب، لتشكيل مجلس نيابي حلبي فقط، ولكي ينظر هذا المجلس في إعلان انفصال دولة حلب عن دولة سوريا، وقرر الوطنيون مقاطعة الانتخابات، وأصدروا بيانا موقعاً من "إبراهيم هنانو وسعد الله الجابري ود عبد الرحمن كيالي والحاج ربيع منقاري والحاج نجيب باقي وأحمد الرفاعي وجميل إبراهيم باشا، مطالبين مقاطعة الانتخابات".

وترشح لهذا المجلس النيابي المحامي عبد الرحمن جوبي، والشيخ أبو الهدى الصيادي نقيب الأشراف، وغالب بك إبراهيم باشا وشاكر بك نعمت الشعباني وصبحي بك بركات وراجع الوطنيون البعض لسحب ترشيحهم فلم ينسحب منهم إلا المحامي عبد الرحمن جوبي

وتمت الانتخابات وأخرج الفرنسيون نتيجة الانتخابات بفوز صبحي بركات وشاكر نعمت الشعباني وسليم بك جنبرت رئيس غرفة التجارة، وغالب إبراهيم باشا رئيس البلدية من حلب، ونوري الأصفري من ادلب، وتمت الدعوة لعقد مجلس النواب لإعلان قيام دولة حلب واسكندرونة، وقام هنانو بإقناع النواب المعادين له مستعملا الترغيب والترهيب لحملهم على عدم التصويت، وأوقف عربته أمام مجلس النواب في موقع المتحف القديم بحلب، قبل انعقاد الجلسة ليراه النواب الداخلون، وفعلاً وبشكل مفاجئ، رفض النواب الذين عرف عنهم موالاة الفرنسيين، قرار الانفصال، وغادروا القاعة، وأفشل الوطنيون مخطط الانفصال وتقطيع أوصال دولة سورية.

عام 1931 وأثناء تواجده في بيروت تعرض بركات لمحاولة اغتيال على يد أكرم حوراني ورفاقه ونجا منها، عام 1932 ترشح عن مقعد حلب في الانتخابات النيابية وفاز بعدد كبير من الأصوات، وتذكر بعض المراجع أن نجاحه أتى بدعم من الفرنسيين وانتخب رئيسًا للبرلمان السوري بأغلبية 51 صوتًا مقابل 17 صوتًا لهاشم الأتاسي، وذلك بموجب تسوية صاغها "جميل مردم" نصت على تشكيل حكومة مناصفة بين الانتدابيين "المعتدلين" والكتلة الوطنية، وانتخاب رئيس جمهورية محايد ورئيس مجلس نيابي محسوب على المعتدلين، وما ساهم بوصول بركات دعم كتلة "نواب الشمال" المؤلفة من 28 عضوًا لترشيحه، كما أنه وفي أعقاب تشكيل حكومة حقي العظم الثانية عام 1933 أخذ بركات يميل نحو الكتلة الوطنية، ووقف معها في معارضة الحكومة في مجلس النواب، وفي 24 نوفمبر 1934 عندما أصدر المفوض الفرنسي شارل دي مارتيل قرارًا بإيقاف عمل البرلمان بعد رفضه التصديق على معاهدة مع فرنسا، شكلت الكتلة الوطنية "لجنة عمل" كان بركات أحد أعضائها، وخلال الاحتجاجات العارمة التي شهدتها دمشق ومدن أخرى عام 1936 والتي أفضت إلى ميلاد وفد من الكتلة الوطنية مهمته السفر إلى باريس للتوصل إلى اتفاقية جديدة ومنصفة مع فرنسا، اعتكف بركات في أنطاكية ريثما تتضح معالم الاتفاقية، ولم يعد إلى دمشق، وعندما تم فصل اسكندرون عن سوريا كان بركات مقيمًا في أنطاكية وعندما توفي عام 1940 كان اللواء قد ضم إلى تركيا، وهو ما عارضه بركات بشدة.

عرف عن بركات الحزم والنزاهة، فقد كان ينفق من ماله الخاص على شؤون الرئاسة، إلا أنه لم يسلم من حدة في المزاج كانت تخرجه عن الرصانة الواجب توافرها في رجل الدولة اتجاه محدثيه، وقد تعرض لغضبة من غضباته صاحب جريدة "فتى العرب الدمشقية "الأستاذ الأديب "معروف الأرناؤوط" حين جابهه أمام العامة في معبر شتورا بين دمشق وبيروت، فما كان من الرئيس إلا أن رفع عصا كانت في يده وانهال بالضرب والشتم عليه، كما كان يؤخذ عليه عدم إتقانه للغة العربية، والذي عامل تندر في الصحف المعارضة.

هدم قصر " صبحي بركات " الأثري في منطقة الصالحية بدمشق ويقوم مقامه اليوم نادي الضباط القديم..

تنويه:

وردت الإشارة في عددنا الماضي على أن "خالد بيك العظم" تزوج للمرة الأولى من السيدة "سنية مردم بيك" ابنة "راشد باشا مردم بيك"ولدى التحقق من المعلومة تبين أن العظم تزوج للمرة الأولى من السيدة " سنية العظم " حفيدة " راشد باشا مردم بيك" جدها لأمها لذا اقتضى التنويه والاعتذار عن الخطأ ...

كلنا شركاء في المجزرة

■ نايف شعبان

منذ بداية الثورة ونحن نركض خلف سراب من الأوهام والآمال بانتظار تصريح أمريكي أو أوروبي يأتي لنا بهذا (الناتو) ليخوض عنا حربا يحررنا بها.

أما آن لنا أن نعلم أن الناتو لن يأتي لإنقاذنا ؟

أول جمعة في الثورة كانت جمعة الكرامة وتلتها جُمع تنتصر بالله ثم بدأنا نستجدي الغرب والشرق لينصر ثورتنا. منذ اليوم الأول كان واضحا أن الثورة السورية تواجه كل أشكال الشر والأنا في هذا العالم المتلاطم المصالح، أن ثورة صمدت في وجه كل هذه المؤامرات لهي ثورة عظيمة بحق وبكل معنى الكلمة، أنها حرب ضد كل أشكال الشر في هذا العالم، يخوضها شعبٌ مقدامٌ فدائيٌ علم الدنيا معنى الفداء.

و لكن "فاقد الشيء لا يعطيه"، لقد قمنا بثورتنا معتمدين على الله ثم على أنفسنا وكلنا ثقة بأننا نستطيع قهر هذا الاحتلال وبناء دولتنا التي نسعى لها، فعندما تخلينا عن ثقتنا بالانتصار والبناء وتعلقنا بأوهام الناصر من وراء الحدود تاهت البوصلة على أبواب السفارات وشاشات الإعلام.

لنتمتع بجرأة الثائر على الأرض ولنواجه أسوأ كوابيسنا ولنعترف أننا أسّ المشكلة برُمّتها.

نحن شعب يمتلك من العزيمة والإصرار والمخزون التاريخي ما لا يمتلكه شعب آخر في العالم، وأن لنا محيطا عربيا وإسلاميا يهدر كالسيل في انتظار لحظة الانتصار، إننا أقوى من هذا الاحتلال بعشرات المرات كل ما نحتاجه هو ذلك التكاتف والتعاضد وإيجاد قيادة موحدة تخوض حرب تحرير حقيقية وتنسق بين الكتائب لتبني جيشاً للتحرير الوطني وتنزع الغطاء عن المال السياسي الذي ساهم بقصد أو بدون قصد بالإضرار بثورتنا وشارك بالفوضى التي أودت بحياة الآلاف من الأبرياء.

نعم لقد أحرقنا المالُ السياسي والتناحر السلطوي القبيح فبات همّ معظم الناشطين كيف يسوق الانتصار الى ساحته ويحلم بأن يكون هو صاحب السبق، وكأننا نخشى أن نتوحد ويكتب الانتصار باسم الثورة فقط دون ذكر البطل الأوحد قائد الكتيبة أو قائد الحزب أو التكتل أو التيار الذي سيكتب لسوريا النصر المبين !!

إن كتائبنا على الأرض تنشق على نفسها بدل أن تتحد، وأصبح معظم القادة من وراء الحدود من الحالمين أو المندفعين أو أصحاب الأموال.

منذ البداية كان الحل واضحا...

حربٌ واحدة ذاتُ تنظيم فكري وعسكري يهدف لإسقاط دولةُ الاحتلال وإقامة دولة الاستقلال، مفردات هذا البناء متوفرة ومتناغمة ولكنها بحاجة لإرادة حقيقية من القيادات الشعبية والعسكرية لتوحيد الصف. غرقنا في تفاصيل خلافات المعارضة ومُرسي علينا الغبن والدهاء السياسي بدعوى أن "الناتو المنتظر" له علامات للظهور أولها توحّد معارضتنا المصونة ليتقاطر الغرب والشرق لنجدتنا !!، لقد بتنا نظن أن المجازر من علامات ظهور الناتو، يبدو أن الناتو ضاع في "السرداب" !!

أية معارضة هذه التي يجب أن تتوحد؟

إن كان هؤلاء معارضون وقادة فما هو تصنيف ثوار الداخل؟ هل هم وقودٌ لأحلام حفنة من المتثاقفين المدعين الذين لم يحلموا يوما بأن يصلوا للسلطة وجاءتهم الثورة لترتقي بهم من غياهب الصالونات السياسية إلى قمة المجد السياسي لتُفتح لهم بوابات السياسة في الغرب والشرق ويتسابق الساسة لخطب ودهم؟

أيها الواهمون لا وزن لكم إنكم أحجارٌ على رقعة شطرنج أرضها مرصوفة بجثامين الشهداء من النساء والأطفال وخيرة شباب الوطن. إن كان هؤلاء معارضة فليخبرونا لمن هم معارضون؟، لقد اتخذت الثورة قرارها وأسقطت شرعية هذا الاحتلال فهل هناك مبرر لوجود معارضة ؟. ثم من قال أننا لا نستطيع التقدم إلى الأمام إلا بهذه الوجوه الناعمة البراقة التواقة للكميرات وصفحات الجرائد؟

لقد عقدنا العزم منذ اليوم الأول أن نُسقط هذا الاحتلال مهما كلفنا من ثمن، وعقدنا العزم أن قوافل الشهداء بالانتظار لبناء سوريا، لكننا أبداً لم نقل أننا جاهزون لتقديم النساء والأطفال ذبائح تحت سكين الجلاد. فلنستيقظ الآن قبل أن تطوقنا لعنات المستضعفين من النساء والأطفال شهداؤنا وضمائرنا التي سقطت تحت يد سفاح أرعن لا يعرف من القيم الإنسانية حتى مفرداتها.

آن الأوان أن نتوحد في الداخل سياسيا وعسكريا ونبدأ حربا ذكية حقيقية لاجتثاث هذا الكرم من أرضنا ولنتماسك ونتكاتف لبناء جيش حقيقي للتحرير مخزونه غنائمه من عدوه وما يستطيع أن يحصل عليه من دعم. لن يأتي الغرب لمساعدتنا ولكنه سيأتي قبل الانتصار بساعات ليعلن الانتصار ويحصد إنجازاتنا على طبق من ذهب ويسلمها بكل هدوء لحفنة من المتسلقين مدعي النضال على أبواب المحافل الدولية ولبعض المنشقين الذين يمارسون عمليات الغسيل لتاريخهم العفن القذر، الذين لم نسمع من أحدهم كلمة الندم على ما ارتكب في ماضيه أو نيته بالوقوف أمام الشعب للحساب. لنبدأ فعلا باستعادة زمام ثورتنا التي هُجّرت الى المحافل الدولية وشاشات الإعلام ولتعد ثورةً على الأرض فاعلة ومحددة الوجهة وليست عشوائية وردّات فعل. فلنتماسك من جديد ولنستعد ثورتنا من جيوب المنتفعين وخزائن السياسة المارقين وكفانا تشتتا وتشرذما وإلا فإننا سوف نستيقظ على انتصارٍ لن يجد له ثائراً حقيقياً يحتفل به.

كل حراكنا الثوري في الداخل والمهجر هو رهنٌ بقرار الثورة على الأرض ورهنٌ بقيادة حقيقية سياسية وعسكرية تتشارك المهام على خارطة طريق واضحة بدلا من تضييع الوقت والدماء بإرهاصات من سيقودنا بعد الانتصار لأنه لن يبقى منا أحدٌ ليحتفل بهذا الانتصار.

إننا الشركاء في هذه المجزرة لا تلوموا عدوكم اللئيم فهذا ديدنه منذ احتل القرار في سوريا وإنما اللوم الأكبر علينا نحن الثوار الذين لم نستطع أن نوحد صفوفنا ونقتلع هذا الوباء إلى الأبد.

آن الأوان أن يتوقف إعجابنا بنجوم الإعلام والسياسة ونركز تفكيرنا على رسم خارطة الطريق لتحرير الأرض والإنسان بجملة أعمال تنتظم فيها الثورة في تناغم تاريخي يثبت للعالم أننا قادرون على التضحية ولكننا قبل ذلك قادرون على حزم أمرنا. إن كان لابد من الشهادة والدماء فليكن ذلك في عمل يحفظ ما يمكن حفظه من دماء المستضعفين ويترك شيئا للأجيال القادمة تستطيع به بناء سوريا المستقبل.

أيها الحقد الطائفي.. أيتها المصالح الإقليمية والدولية.. أيها المال السياسي.. أيتها الأطماع الحزبية والفئوية سيكون لنا معكم وقفات بعد الانتصار وستنكشف كل بؤر الشر التي ساندت الإحتلال في قتله وذبحه للسوريين، وكل سيحصد نتاج أفعاله.

سننتصر بإذن الله... والله معنا وفي عوننا.

في عالم انفعالات الثورة السورية

■ ياسين الحاج صالح

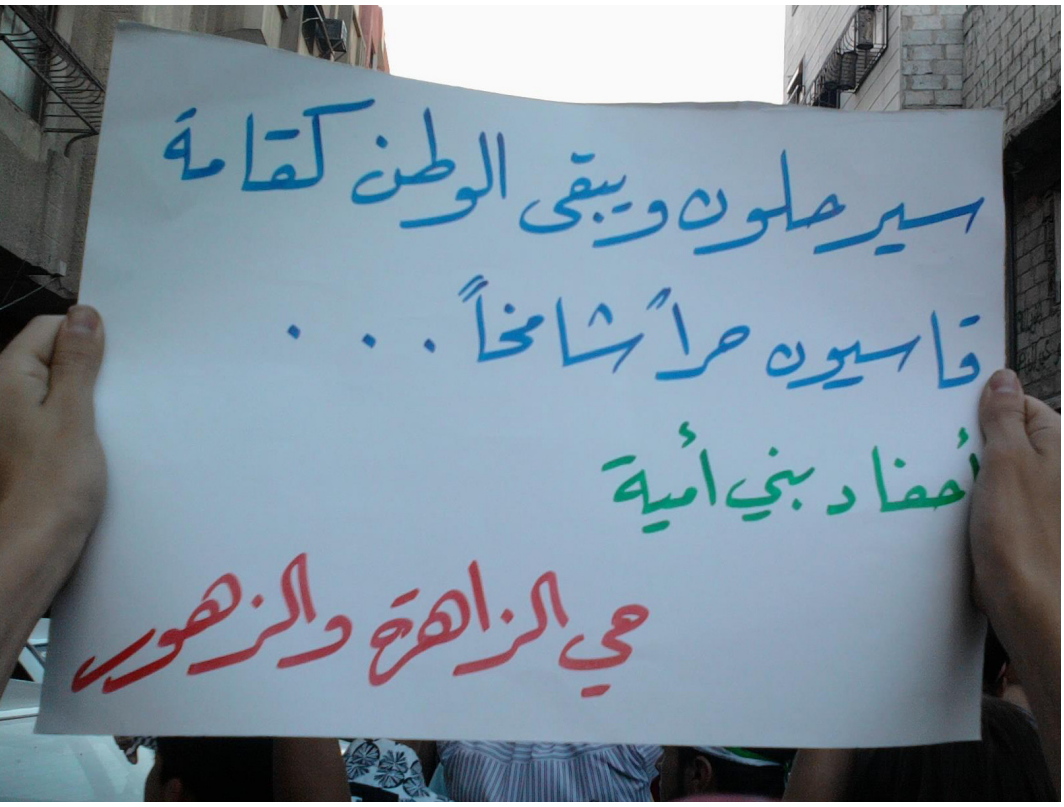

في تشيكلة انفعالات للثورة السورية ثلاث مجموعات من العواطف تتواجه وتتضارب. التعالي والغرور والاحتقار من جانب الطغمة الحاكمة حيال عموم المحكومين، والنقمة والحقد ونازع الانتقام من قطاع واسع من المحكومين حيال الطغمة، ثم الخوف والارتعاد الذي يغلف العلاقة بين المحكومين والحاكمين.

ما كان لأكثر من أربعة عقود في الحكم إلا أن تورث طغمة الحكم الأسدي «ثقافة» تفوق وامتياز، فصارت تشعر أن ما تتمتع به من سلطة مطلقة هو استحقاق وجدارة، وليس مجرد واقع تاريخي عارض. كانت أجهزة النظام التعليمية والإعلامية، والحزبية والعسكرية و«الشعبية»، قد عملت طوال هذه العقود على أن يستبطن عموم السوريين الإيمان باستثنائية حافظ الأسد وعبقريته، ثم أسرته من بعده، وبالتالي استحقاق الأسديين البديهي للحكم وحصانتهم وعلوهم على المساءلة والنقد. وطوال العقود نفسها كان الدين الرسمي هو عبادة حافظ وسلالته، وكان الكفر المودي للمهالك هو الاعتراض عليهما.

ثقافة الامتياز حولت ما هي سلطة واقعية مطعون في شرعيتها إلى سلالة مقدسة، وأورثت السلالة وأعوانها ما يمكن تسميته هوس السلطة أو جنونها، أي عشقها والوله بها، والاستعداد لفعل كل شيء من أجل الاحتفاظ بها، على ما قد يفعل العاشق المجنون. الغرور والتعالي والعجرفة، والنظر إلى العموم كحثالات وتافهين، واحتقار حتى أدوات الطغمة ذاتها ورجالها من وزراء ومسؤولين مدنيين، وعموم العسكريين، يميز السلطة الحقيقية في البلد المتكونة حول النواة الأسدية وذوي ثقتها، والتي يقول أربابها صراحة في دوائرهم إن السلطة لنا ولن نتخلى عنها (تتشكل «نحن» المُحال إليها من تقاطع الأسرة والطائفة). أما التجارة والمال، فلم تعتبرها هذه «النحن» ملكها الحصري، وإن تميز عهد بشار الأسد بنزعة توسّع قوية نحو هذا الميدان المغري.

ولا تحوز هذه الثقافة طاقة هيمنية لاعتباطيتها المطلقة، وخلوها من أي مضمون إنساني أو وطني، وافتقارها إلى أي أساس عقلاني. لذلك اقترن نشرها بعنف يفوق الاعتماد عليه اعتماد النظام على أجهزة التعليم والإعلام و«المنظمات الشعبية». وهذا لا يتجسد فقط في مؤسسة خوف راسخة ومتمتعة بحصانة كلية، أجهزة الأمن، وهي مجموعة من المنظمات السرية الإرهابية التي تشكل جيش النظام في حربه الدائمة ضد المحكومين، وإنما في حربين كبيرتين على المجتمع السوري، أودت الحرب الأسدية الأولى بعشرات الألوف قبل أكثر من ثلاثين عاماً، وبمستويات غير مسبوقة من الكراهية والعدوان، وبدأب مدهش في تحطيم كرامة السوريين ككل، بمن فيهم عموم الموالين للنظام؛ وأودت الحرب الثانية الراهنة بما يفوق 20 ألفاً من السوريين حتى اليوم، إن احتسبنا من سقط من طرف النظام، وعشرات ألوف المعتقلين والمخطوفين والمعذبين. يظهر النظام استهتاراً مذهلاً، وإن ليس مفاجئاً، بحياة من يسخرهم للدفاع عنه. إنهم بالفعل مجرد «دروع بشرية مسلحة» لحماية الطغمة، على ما قال بيان صدر مؤخراً عن لجان التنسيق المحلية يدعو جنود الجيش وضابطه إلى تركه أو الانشقاق عنه.

كانت محصلة الحرب الأولى الكثير من النقمة والغل في المجتمع السوري. ليس من قبل المحكومين المقهورين وحدهم، ولكن من قبل الحاكمين خاصة. كأنهم كلما أوغلوا في الوحشية ضد محكوميهم يزدادون حقداً عليهم وعطشاً إلى الانتقام، وتشتد حاجتهم إلى تصوير أنفسهم ضحية عدوان أو مؤامرة خطيرة من هؤلاء المحكومين. وليس خارج الأمر تلك الإيديولوجية التي ترتاح لها الطغمة أيما ارتياح، والتي لم تكن تكف قبل الثورة عن الكلام على أصولية وسلفيين و«مد ديني متعصب» (بثنية شعبان) تهدد النظام الذي كان يبدو لمروجي هذه الإيديولوجية ضحية لهذا الشبح الشرير المتعدد الأسماء والوجوه. في محصلتها سوّغت هذه الإيديولوجية المبتذلة حقد الأقوى على الأضعف، وزودته بضمير مرتاح بينما هو يثابر على سحق وإذلال الضعفاء. ولم يندر أن تكرم «مفكرون» بشرح أن ضعف هؤلاء ظاهري فحسب، وأنهم في الواقع يحملون خاصية شريرة شديد الخطر في عقولهم (ظلامية، قدامة، تعصب...)، فلا بد من الحذر المستمر منهم، ولا بأس بالقسوة معهم.

على أن غِلّ المحكومين حقيقي ومنتشر فعلاً، وإن يكن تفسيره قريباً وميسوراً، ولا يحيل إلى خاصية شريرة مخبأة في صناديق رؤوسهم. من يُهَنْ وتتكرر إهانته يحقد، خاصة حين لا تتيسر له سبل إلى الشكوى والإنصاف. وهذا حال أكثرية السوريين. هل من غير نقمة مختمرة طويلاً وقلوب ملتاعة يمكن أن يصدر ذلك الهتاف الرهيب والمشؤوم: يلعن روحك يا حافظ!

وبينما أظهرت الثورة أن «الأسى ما بينتسى»، على ما يقول مثل شعبي سوري، فإن أسى جديداً، أوسع انتشاراً مما سبق ولد وتجذر في النفوس أثناء الثورة، بتأثير الوحشية والحقد المذهلين لما هو جدير فعلا بتسمية قوات الاحتلال الأسدية. هذا «الأسى» المتجدد كل يوم هو الحافز الأقوى لاستمرار الثورة.

وإلى غرور الحاكمين وجنونهم، وإلى غل المحكومين ونقمتهم، ثمة الخوف. النظام الذي أسر المحكومين في دائرة الرعب والحقد، أسر نفسه في الدائرة نفسها. يعلم رجاله ماذا فعلوا، وهم يخشون خسارة امتيازاتهم ويتملكهم الذعر من المحاسبة على ما جنت أيديهم، لذلك يتوسعون في القتل والإرهاب، ويحث صغارهم الكبار على الإمعان في القتل، تيمّنا بنهج الأب وأخيه قبل ثلاثين عاماً. وفي الأمر إيديولوجية عن الرجولة، يبدو أن جيل الابنين الذي تفوق في الوحشية على الأب والعم منذ الآن، عاجز عن مضاهاتها بعد أن نُصّب الطاغية المؤسس أسطورة ومثالاً أعلى. أما المحكومون فيبدو أن ما يثير أشد خوفهم هو عيش عقود جديدة من الذل في ظل طغمة تجمع بين الوحشية والخسة والرثاثة، أكبر حتى من المعاناة المباشرة للسجن. كانت سنوات الثمانينات والتسعينات فظيعة في سورية، ليس لأن عشرات الألوف سجنوا وعذبوا وقتلوا، ولكن لأن كل السوريين من دون استثناء عاشوا منهكي النفوس والضمائر في ظل الخوف والفساد والتفاهة.

ولا يترك خوف الحاكمين من المحكومين وخوف المحكومين من الحاكمين، ومعهما غرور الحاكمين وجنونهم، ونقمة المحكومين وحقدهم، مجالاً لكلام في العقل أو العدل. المجال مفتوح فقط لصراع قدري، تنبع مأسويته من أن العدل والعقل معاً يوجبان الاستمرار فيه حتى النهاية.

عن موقع سوريون نت

أبـواب حمـص القديمـة

■ بلال سلامة

كانت أسوار حمص وأبوابها وسيلتها الأولى لرد الأعداء والطامعين ولحماية سكانها ولإفشال الحروب التي شُنت عليها، إضافة للخنادق والأبراج الموزعة حول المدينة. وصف الرحالة الأوروبي (بيربيلون) أسوار حمص في القرن العاشر قائلاً أنها "قوية ومشيدة بأحجار منحوتة تدل على متانتها"، وقال عنها الرحّالة ابن جبير "وأبوابها أبواب حديد، سامية الإشراق، هائلة المنظر، رائعة الإطلالة والأناقة تكتنفها الأبراج المشيدة الحصينة".

يؤكد معظم المؤرخين على أن أسوار حمص إسلامية وأن الأسوار الرومانية مدفونة تحتها. جُدّدت أسوار حمص أيام الأمويين وخاصة عندما أمر آخر خلفاء الأمويين الخليفة مروان الثاني برفع هذه الأسوار. ، وأفشلت هجوم الصليبيين سنة 1098 ثم تم ترميمها بعد الهجوم الصليبي الثاني سنة 1126. هدم زلزال 1267 أكثر أسوار مدن بلاد الشام ومنها أبواب حمص، ثم أعاد إعمارها نور الدين زنكي، والملك المنصور إبراهيم بن محمد شيركوه. ونلاحظ أنه خارج كل باب يوجد مقبرة وقف للمسلمين وتأخذ اسم الباب الذي يؤدي إليها.

إذا أردنا اليوم تحديد مسار هذه الأسوار والأبواب بدقة، سنجد هذا صعباً نتيجة الإهمال الكبير لها ونتيجة إزالة معظمها من أجل التوسع العمراني، فإذا بدأنا من برج جامع الأربعين فإن السور يتّجه بخط مستقيم نحو الجنوب إلى مسجد مقام النبي هود وإلى الشمال منه باب هود، ثم يتابع جنوباً ليصل إلى الباب المسدود ثم إلى باب التركمان محيطاً بخندق القلعة، ليصل إلى باب السباع، ليستقيم بعدها ويصل إلى باب الدريب شرقاً ثم إلى باب تدمر ثم يتابع غرباً ليصل إلى جامع النوري الكبير ثم إلى باب السّوق ليكمل طريقه إلى برج جامع الأربعين مرة أخرى.

باب السوق:

تعود تسميته إلى كونه الباب المؤدي إلى كافة أسواق المدينة، ويعتبر منفذها التجاري بسبب توسطه لشارع باب السوق قديماً (ساحة الشهداء حالياً)، ويطلق عليه كذلك تسمية باب المدينة أو باب المغلاق أو باب الرستن وهو الباب الوحيد في السور الشمالي للمدينة ويقع في وسطه، غرب الجامع النوري الكبير، ويتجه شمالاً. يؤدي باب السوق إلى مدينة حماه وحلب والمدن الشمالية.

أزيل هذا الباب بعد التوسع العمراني (بعد سنة 1869)، وهو الباب الذي دخل منه جيش الفاتحين المسلمين بقيادة هشام بن عتبة بن أبي وقاص.

وقد ذكره محمد مكي السيد في أحداث عام 1708 وكذلك في أحداث عام 1718 عندما قال "وفيه رموا العمود الأبيض الذي في باب المدينة باب السوق".

باب تدمر:

يعود هذا الباب لما قبل الفتوحات الإسلامية، وأطلقت عليه هذه التسمية لأنه الباب المؤدي إلى تدمر. يقع في الزاوية الشمالية الشرقية للسور ويتجه شرقاً. وعنده ينتهي سور المدينة الشرقي في الشمال، ويبدأ السور الشمالي من الشرق. وموضعه اليوم وسط الشارع المؤدي إلى ساحة باب تدمر الداخلية، عند الزاوية الجنوبية الغربية من دوّار مؤسسة المياه وعند بداية الطريق المؤدي إلى دير القديس إيليان.

كان لهذا الطريق أهمية تجارية كبيرة لأن هذه المنطقة تعتبر ممراً تجارياً للقوافل العابرة بين تدمر وحمص. ويلاحظ الارتفاع المميز لهذا الباب عن مستوى الشارع الرئيسي.

أزيل هذا الباب عام 1925 بعد طول إهمال، ولم يبق منه ما يدل على وصفه المعماري إلا بضعة أحجار موجودة إلى اليوم.

باب الدريب:

يعود لما قبل الفتوحات الإسلامية أيضاً، ويقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للسور ويتجه نحو الشرق، ومن موقعه يبدأ سور المدينة الشرقي من الجنوب. وموضعه اليوم مقابل جامع كعب الأحبار في وسط الطريق لشارع أحمد الرفاعي. ويؤدي إلى القرى الشرقية والشرقية الجنوبية من المدينة، وإلى الأراضي الزراعية المجاورة بواسطة عدة دروب فرعية، ولعل هذا سبب تسمية هذا الباب بباب الدريب.

نقش فوق باب الدريب شعار السلطان نور الدين زنكي على شكل زهرة الزنبق، وكان يسمى سابقاً بـ "الباب الصغير" ودخل منه الجيش العربي بقيادة خالد بن الوليد وأبي عبيدة الجرّاح.

أزيل هذا الباب عام 1925 و لم يبق من آثاره اليوم ما يدل عليه.

باب السباع:

سُمّي بهذا الاسم بسبب النقش فوقه وهو صورة لسبعَين متقابلين، وهو شعار الملك الظاهر بيبرس، وقد دخل منه الجيش العربي بقيادة يزيد بن أبي سفيان.

يقع باب السباع داخل المدينة القديمة، في الجانب الجنوبي بعد قلعة حمص التاريخية، ويتجه جنوباً. و من موقعه يبدأ سور المدينة الجنوبي من جهة الغرب. ويؤدي إلى حسيا و دمشق.

يعتبر باب السباع المنفذ التجاري للمدينة، وكانت تخرج منه قوافل الحُجاج. كما أنه المدخل العسكري الأول لأنه يجاور القلعة ومدخلها الرئيسي. وموضع الباب اليوم في وسط شارع باب السباع.

أزيل هذا الباب عند توسيع الطريق المؤدي إلى المدينة سنة 1925، وذلك بعد طول إهمال. بقي اليوم من آثاره بعض الصخور الكبيرة في الجهة الغربية من السور.

خارج باب السباع تقع الزاوية الرفاعية التي بناها الشيخ سليمان الرفاعي الكيالي عام 1890. وقد ذكر محمد مكي السيد في مذكراته في أحداث عام 1718 باب السباع قائلاً "ومنه صار نصب الكروم عند باب السباع وباب تدمر وباب الدريب وفي خندق القلعة وحول سور البلد وأراضي برا البلد".

باب التركمان:

تعود تسميته للقرن الحادي عشر عند نزول بعض قبائل التركمان فيه بعد دخول العثمانيين المدينة.

يقع باب التركمان إلى الجنوب من الباب المسدود وفي الزاوية الشمالية الغربية للقلعة عند نهاية السور الغربي لها. موضعه اليوم في وسط شارع باب التركمان ويتجه غرباً. ما تزال هناك اليوم بقايا من صخوره الكلسية الضخمة المصقولة. ويؤدي الباب إلى البساتين ويرتبط مع الطريق المؤدية إلى دمشق ثم مع طريق طرابلس والحصن والمدن الساحلية، ويعد أيضاً مدخلاً عسكرياً مجاوراً للقلعة.

أزيل هذا الباب عند توسيع الطريق المؤدي إلى المدينة سنة 1925.

الباب المسدود:

يذكر أن هذا الباب سد بالحجارة والطين في الفترة العثمانية ثم تم فتحه بعد الحرب العالمية الأولى، ولهذا حفظ من التداعي، ومن ذلك أتت تسميته بالباب المسدود. ويقال أيضاً أن السلطان سليم عندما غادر حمص من هذا الباب أغلقه وراءه بعد ذلك.

يقع الباب المسدود شمال باب التركمان، وجنوب باب هود في السور الغربي للمدينة، ويتجه غرباً. كان يؤدي قديماً إلى ساحة الميدان (حي الميدان حالياً).

إن الباب المسدود هو الباب الوحيد الذي ما تزال ركائزه الجانبية قائمة بعد أن أزالت البلدية ساكفه (أعلاه).

ويعود تجديد الباب المسدود إلى الملك المنصور ابراهيم بن محمد شيركوه، كما تشير الكتابة التي كانت تعلو ساكف الباب (أعلاه): "بسم اللّه الرحمن الرحيم. أمر بعمارة هذا الباب مولانا السلطان الملك المنصور، السيد الأجّل، العالم العادل، المجاهد، المرابط، المؤيد، المظفر، المنصور، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، شرف الملوك والسلاطين، ناصر أمير المؤمنين، أبي طاهر ابراهيم بن شيركوه بن محمد".

باب هود:

جاءت تسمية الباب من مقام النبي هود الذي يقع جنوب الباب (والذي أزيل بتاريخ 28 آذار 2004)، وهو أكبر الأبواب وأهمها ويعود لما قبل فتوحات المسلمين.

يقع في السور الغربي للمدينة وسط الشارع الرئيسي، ويتجه غرباً، ويؤدي إلى تلكلخ والحصن والمدن الساحلية وطرابلس. ويُعد المنفذ التجاري الرئيسي القريب من أسواق المدينة باتجاه الساحل والميناء. يوجد خارج باب هود مصلى باب هود الأثري الذي أزيل في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي. أهمل هذا الباب بعد التوسع العمراني ثم أزيل عام 1925.

يقول الشيخ محمد سعيد في مذكراته دالاً على أن هذا الباب كان يستخدم للدفاع عن المدينة أنه "على جانبي هذا الباب برجان دفاعيان، ولهما فتحات للمراقبة ورمي السهام، وإلى الشمال من باب هود غرفة للحارس وعليها فتحات".

حمص مدينة الأبطال، تحية لك ولرجالك وأسوارك وأبوابك الذين وقفوا حماة لك على مر العصور ولا يزالون.

إني إليك كساع ليس يبتسم
أنتِ اليراع وأنت الحب والقسم
حمص الأبية فيك خالد علم
وفيك الوحي والإلهام والذمم
إني أحي رجال حمص ما برحوا
أرضاً أو سماءً فهم للورى قمم
كل المعاني تاهت في محبتها
أغلى البلاد وفيها العزّ والكرم

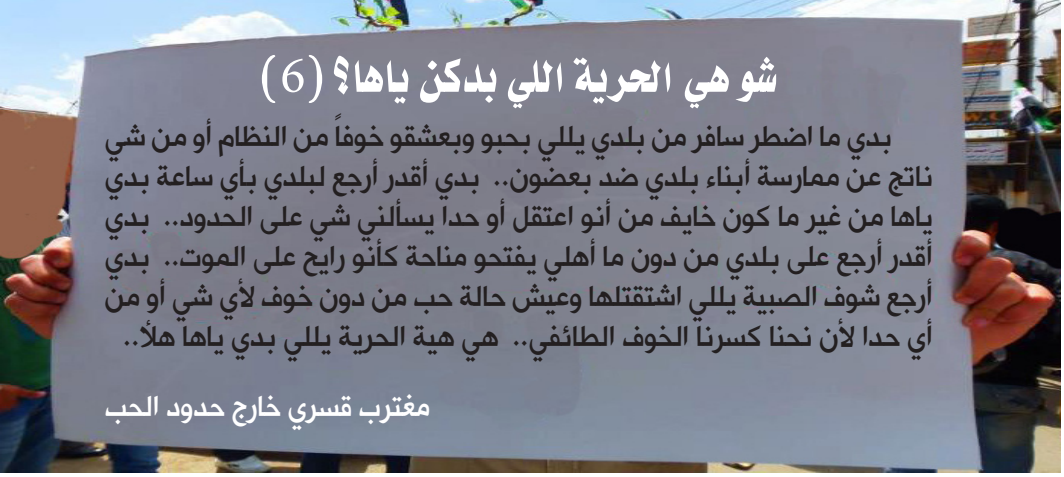

صادق أبو حامد

استشهاد 17 عسكرياً فلسطينياً من جيش التحرير. أيدي العصابة الفاسدة لا تميز.. والشعب الجبار لن يميز حين يقطعها جميعاً.. من أصل طغيانها.. وحتى آخر شبيح وضيع..

خولة دنيا

كم سجيناً لم يعترف بحمل السلاح بعد التعذيب؟.. لا أحد.. لن ينتهي التحقيق إلا بالاعتراف حتى لو كان ما يتم الاعتراف به مضحكاً وغير قابل للتصديق!!!

محمد العبد الله

كلما فكرت أن أعتزل السلطة، ينهاني ضميري.. من ترى يحكم بعدي هؤلاء الطيبين؟.. من سيشفي بعدي الأعرج، والأبرص، والأعمى.. ومن يحيي عظام الميتين؟
ملخص مقابلة الأسد مع التلفزيون الألماني أول أمس.. شي مريض فعلاً هذا الرجل!!

عبد العزيز الهايس

نحن في دير الزور شوايا، وشهداؤنا شوايا مثلنا.. هكذا أثبتم لنا.. كل بطولاتنا، وما قدمناه لم يثير اهتمامكم، أو تغيّر نظرتكم عنا!!.. مدونا عن الخارطة، وفداحة موتنا.. لم تثر حتى تضامنكم!!.. طالبنا بالكيماوي لنغيّر كلاسيكية قتلنا، فلم نفلح.. ليس لدينا في جوارنا طائفة أخرى تذبح أطفالنا لنصبح وإياهم موضع إثارة واهتمام!.. بل حتى مسيحيينا هم شوايا مثلنا!!.. كل نحومنا الثوريين الذين صدعناهم في ثورتنا تخلوا عنا أيضا، وأنا أعذرهم «أي ما صدقوا يهربوا من عارهم الذي نحمله».. ها أنا ذا أبحث عن فكرة، أو أكشن يسلط الضوء على تدميرنا، وموتنا اليومي.. فمن لديه فكرة، أو بعض فكرة فليرسلها لي تحت الهواء على صفحتي هذه..
أنا عبد العزيز الهايس: شاوي من دير الزور

حسام عيتاني

ليس عيبا أن تكون طائفياً، العيب أن تغطي طائفيتك بقضايا أكبر منها.

رفيق حلو

أكبر جرائم بشار على الإطلاق.. انو خلى السوري يفرح لموت سوري آخر.. في أكبر منها؟

أكاد الجبل

لا لإعادة إنتاج عصابة الأسد.. لا للحوار مع عصابة الأسد..

عهد زرزور

و يؤلمني الجرحى أكثر من الشهداء.. ويذبحني الشهيد..

رزان زيتونة

يتفهم رغبة البعض ببقاء المخيمات الفلسطينية على الحياد.. خوفا من مآسي أخرى تلحق بفلسطينيي الشتات.. لكن كلنا نعرف انه هالشي أصبح مستحيل بعد ما امتزج الدم الفلسطيني بالدم السوري عبر عشرات الشهداء الفلسطينية خلال الثورة، وبالذات بعد اليوم.. بعد قيامة المخيمين في دمشق.. تحية إلى كل فلسطيني سوري في الثورة.. وكل الدروب بتودي عالحرية..

الدومري

مسيرة طيارة مؤيدة في حلب.. طولوا بالكم.. لسى بدكن تدقوا على الطناجر.

إياد عماشة

هذه المجازر المرعبة التي يرتكبها مرتزقة الأسد، لا شيء في هذه الكون يوازي بشاعتها، سوى التحريض الطائفي الذي يعقب تلك المجازر.. من يحرض طائفيا بعد كل مجزرة هو مجرم بقدر من ارتكب المجزرة..

شام داود

ما يثلج القلب حقاً.. أن السوريون من كافة مشاربهم وانتماءاتهم وأطيافهم.. يجمعون على أن لفلسطين مكانها في قلوبنا، وأن الفلسطينيين سوريون أكثر من كثيرين من مدعي الممانعة والمقاومة الخ..
إن الثورة السورية ثورة العدل والكرامة والحرية... لم ولن تتخلى عن حقوق الشعب الفلسطيني، وأن وجعنا واحد وجرحنا واحد.. سنسقط النظام.. وسنسقط معه أقنعة الممانعة المزيفة.. ولن يكون بعد اليوم سوى كلمة الشعب المقاوم والممانع بحق.. نعم للحرية.. نعم لحق الحياة.. نعم لحق الأوطان والحياة الكريمة.. لنا ولفلسطين.. ولكل المقهورين..

فادي عزام

أنا مع الضحية أن تقول ما تشاء.. وكيفما تشاء وتصرخ وتهدد من تشاء.. أنا مع من طرق عزرائيل بابه أن يصرخ به عد أيها الملاك خائبا.. فأبني لم يكمل درس القراءة بعد.. أنا مع هؤلاء الناس الذين جمعتني بهم خلال سنة ونصف ما لم يجمعني بنفسي خلال ثلاثة عقود من حاصن الدوالي. أنا مع المقتول غصباً وظلما والمخطوفة روحه على حين غرة من انشغال السماء بعطلة الصيف. أنا مع المظلوم والذاهب إلى القبر « كفراطة « في حصالة الوطن. أنا لا أصدق أي كلمة من النظام وقائده وإعلامه ووزرائه حتى لو نادوني باسمي. سأشك بنفسي. أنا مع أغلبية الناس إن تدبنوا أو انحدوا إن صاموا أو سكروا إن قاتلوا أو قتلوا. أنا وإن جمعني اليوم الموقف نفسه مع الكثير مما لا أطيقهم ولا يطيقوني.. أريد أن يسقط هذا السفاح حتى أعارض الجميع لاحقا.. أما الآن أنا مع ما يقرره أهالي الشهداء وما يريده فقراء بلدي. لا من يتاجر بدماء الشهداء ولا بحاجة الفقراء.. هؤلاء سيكونوا ألد أعدائي لاحقا. أن قدر لي أن لا أموت.. حتى ذلك الوقت.

فدوى روحانا

انتم الموغلون في صمتكم، انتم المتعلصون من الحقيقة كما النعامة، انتم الببغاء المختبئون في قشور أيدلوجيتكم، انتم العميان والمتعامون، عبدة عقائدكم وألهتكم من الولي الفقيه وحتى لينين، يا كل من أنكر دماء الشعب السوري.. تبا لكم..

رشا عمران

ثمة خلل في الوجدان خلل وخراب، سوف يغرق سوريا بالدم.. أي مستقبل ينتظركم يا من تعتقدون أنكم محميون! ثمة مسافة قصيرة جدا بينكم وبين الدم، وزمن قصير.. طوبى للميتين.. لا ترهق الأوزار دقائقهم.. طوبى لهم..

نبيه نبهان

كم هو ملحمي أن تكون سورياً اليوم.

عمر إدلبي

في الوقت الذي تنزف فيه قلوبنا ألماً على شهدائنا.. في عز ارتفاع منسوب القهر الى مستويات تجبر الكثيرين على قول ما لا يودون ولا يؤمنون به.. في الوقت الذي تتحرك فيه وحوش غرائز الانتقام الغاضبة.. في هذه الأثناء.. تحضر الآية الكريمة: «لا تزر وازرة وزر أخرى». و يحضرني صوت رفاقي السوريين العلويين وهم ينادون بالحرية لسوريا في وجه مجرمي عصابة النظام. تحية لكم أيها الشجعان السوريين.. من كل أطياف بلدنا الرائع.. وتسقط العصابة ومجرموها من كل دين وطائفة وقومية ومذهب. المجد لشهداء ثورتنا.. والحرية لسوريا.. أم السوريين.. كل السوريين.

إياد كلاس

تضخم اليسار واليمين يؤدي إلى فعس الوسط.. الثورة القادمة: ثورة الوسط على اليمين واليسار.. بس لنلقط نفس.. يلعن روحو!

زينة أرحيم

سبعة وعشرون شهيداً فلسطينياً في سوريا خلال أسبوع واحد.. فلسطين، الذريعة الأزلية لكسرنا وقتلنا، تحمل عنا جزءا من القتل، وتلقي على بعض الألسنة نعمة الخرس.. أما البقية فما عاد عليهم حرج.. الرحمة للجميع..

كوليت بهنا

في متر مربع بشارع سوري.. يقف شبيح.. على بعد متر منه.. يقف شبيح آخر.. بينهما.. يقف عوايني.. خلفهم.. مخبر.. تحتهم.. أزعر.. فوقهم.. مجرم..
وفوقهم فوقهم.. يطير أحدهم حراً..
هي ليست هلوسة ظهيرة يوم تموزي حار.. قد رأيت جناحيه..

حكم البابا

رغم كل الجهود لتحييدهم وإبعادهم عن الثورة السورية إلا أن الحرية التي تسري في دماء الفلسطينيين منذ أكثر من ستين عاما لا يمكن إلا أن تنحاز لثورة الحرية والكرامة في سورية، ومن يحس بالمقهور أكثر المظلوم.. دخول الفلسطينيين على خط الثورة السورية وشهدائنا من أبنائهم قيمة مضافة ومهمة في ثورتنا..

ياسين الحاج صالح

فلسطين مع الثورة السورية. الفلسطينيون يعرفون في لحمهم ودمهم هذا النظام بقدر ما نعرفه. دمنا واحد في الماضي، وهو واحد اليوم في اليرموك والنيرب والتضامن.. وهو واحد في الغد.

عروة نيربية

عزيزي الطائفي، النظام دلف، أنت مزراب. ومطرح ما فعلناها سنشق، بهمتك.

ماجد كيالي

نحن الفلسطينيون.. قتلى مع المقتولين.. وأسرى مع المعتقلين.. ومفقودون مع المفقودين.. ومعذبون مع المعذبين.. ومظلومون مع المظلومين.. وممتهنون مع الممتهنين.. هذه معمودية الحرية والكرامة والعدالة.. فلسطيني وسوري واحد.. شعب واحد.. الم واحد.. أمل واحد.. فادفنوا أمواتكم وأنهضوا.. المجد والخلود للشهداء الأبرار.. شهداء مخيمي النيرب وحندرات للاجئين الفلسطينيين في حلب اليوم هم شهداء الحرية والكرامة.. شهداء فلسطين شهداء سورية.. سوري وفلسطيني واحد..

بتشوفها كتير.. بنضارات شمسية، ماسك طبي، شال فلسطيني.. أسعفت مصاب وأوعيها إتلوثت من دمه.. ما همها المسكرة تسيح أو الحمرا تروح.. كزبت على أهلها منشان تنزل وتهتف مع يلي عيهتفوا..
يمكن مالها محجبة بس لبست شال منشان لما تتصور ما يعرفوها.. لبست بوط رياضة منشان وقت يبلش الرصاص تقدر تركد.. مشروع التخرج تبعها كان صورة دبابة وطفل مستشهد وقت ما زملائها كانوا بيرسموا مزهريات وفواكي.. شهيد بيشيع شهيد وتنين وتلاتة وأربعة وزملائها بيصوروا عصفور بيشرب.. دفعت معاشها ويلي تحت البلاطة تبرعات شي كفالة أيتام شي إطعام عائلة نازحة شي معدات طبية إسعافية.. بتغير صوتها عالموبايل وتفوت بمدخل بناية منشان أهلها ما يسمعوا صوت المظاهرة.. لا تسألها عن مهند ونور وتامر حسني وثمن عمري والاستقبالات والمباركات وآخر موضة بنطلون.. سألها عن المنشورات والبخاخات وأعلام الاستقلال وعبارات الالفتات وآخر العيل النازحة يلي عمتأمنهون..
لمحت شب مسكوه الأمن ورايح الله أعلم فين.. ركدت تخلصه بإيديها وسنانها.. وما همها تاكل القتلة معه وتنسحل بشارع بوسط صمت الناس وفرجتهون عليها.. شافت أطفال بتندبح ونساء تغتصب ورجال تنعمن جماعي.. ومع هيك بيسألوها بكل تفاهة شو يلي مطالعك من بيتك؟؟ بترد عليهون أنتو شو يلي مقعدكون؟؟..
مفرداتها أتغيرت من كتر اللي بتشوفه وبيجي حدا بكل برود بيسألها: كيف إبنت محترمة] بتحكي هيك!!.. هي هيي اللي أخوها أستشهد قامت أخدت مكانه.. هي اللي خطيبها اعتقل وكانت قوية وما انهارت.. هي يلي زوجها أستشهد وتركلها الولاد وما تزحزحت عن مطلبها ومطلبه.. هي اللي ألتم عليها الشبيحة وشلوحوها حجابها ونزلوا ضرب فيها.. ولسا رافعة راسها وحالفة لتجيب حقها وحق الكل..
عفكرة هي هيي نفسها يلي كانت تموت على كل شي لونه زهري من الدباديب للإكسسوارات للتياب للسكربينات والجزادين
هي هيي نفسها يلي كانت يحمروا خدودها لما تسمع مسبة بين تنين زعران بشارع. هي هيي نفسها يلي كانت تخاف حتى تركب بتكسي لحالها وتروح على مكان ما بتعرفه.. هي هيي نفسها يلي كانت رنة موبايلها إيسا ونانسي وتخاف على أضافيرها لتنكسر.. هي هيي نفسها يلي من بيتها لمحاضراتها ومن محاضراتها لبيتها.. هي هيي نفسها يلي كانت تحلم بفارس مقدام على حصان أبيض جاية ياخدها من بيتها على قفص الزوجية السعيد..
قالولها مالح تتجوزي لأنو الرجال ما بيحب البنت اللي شخصيتها قوية، آخر همها ترضي هيك شخصية مريضة.. خلص هي ثارت وسمحت للتغيير يوصلها.. ومالها راجعة.. مالها راجعة ينقلها شو تعمل وشو تساوي وكيف تعيش حياتها.. هي اللي بتحط بسمة علي وشك ووشي لما بتضحك.. وهي هيي يلي قوتها لح تخلي بلدنا تتولد من جديد..
هي اللي أنا وأنت بنتشيك زيادة ومنحط بارفاننا الأصلي لما نعرف أنها موجودة أو جاية..
هي هيي.. البطلة إلي كانت أرجل من كتير رجال..
هي هي الحرة السورية الأصيلة..

سارة أورفلي

نقولا زيادة: المسيحية والعرب

■ ياسر مرزوق

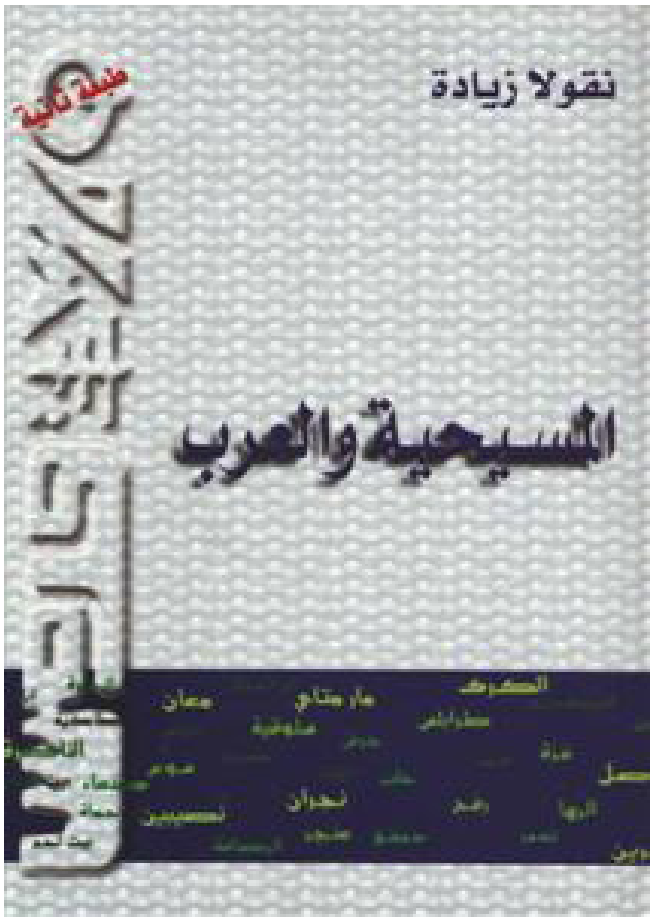

لابد أن ما حدث في سوريا منذ أكثر من عام، طرح العديد من التساؤلات حول الهوية الوطنية، فالأنظمة الشمولية التي تصادر الحق في المشاركة والتعبير، لا تكتفي بذلك بل تعامل التاريخ بأثر رجعي وتسقط عليه مقولاتها، إذ لا يتورعُ النظام ومحازبوه عن ادعاء حماية الأقليات، ومصطلح "الأقليات" نتواطأ على استخدامه، إذا كان معيار الأقلية والأغلبية هو العدد فقط، أما إذا طبقنا معايير الدور الحضاري والمشاركة في بناء سوريا والشخصية السورية، فتسقط معادلة الأغلبية والأقلية، فالمسيحيون العرب ليسوا كما يعتبرهم الكثيرون، بالدور التاريخي الذي لعبوه في مشروع النهضة والتحرر، "جسراً" مع الحضارات الإنسانية الأخرى، بل هم جزءٌ أصيل من الأساس القومي لهذا المشروع...

كتابنا اليوم لعميد المؤرخين العرب "نقولا زيادة" المولود في دمشق العام 1907. والذي بعد وفاة والده، عاد مع والدته وإخوته الثلاثة إلى الناصرة - فلسطين العام 1915، بعدما درس في مدرستين بدمشق. تعهده خاله الوحيد بالرعاية، وما لبث أن قتل خاله في انفجار قنبلة ألقتها طائرة بريطانية العام 1917 على بلدة جنين. راحت والدته تعمل، فيما نقولا بلا مدرسة لانعدامها هناك، فعوّض عن ذلك بالمطالعة والتثقيف الذاتي. العام 1919 فتحت مدرسة جنين أبوابها، فدخلها نقولا لعامين، وتقدم لامتحان دخول دار المعلمين في القدس، ومكث هناك ثلاث سنوات، تخرج حاملاً شهادة العام 1924 فتيسر له العمل براتب شهري زهيد في مدرسة الناصرة لعدة أسابيع، انتقل بعدها إلى مدرسة ترشيحا - قضاء عكا. وفي العام التالي، نقل إلى مدرسة عكا الثانوية "1925 - 1935" مدرّساً للتاريخ والجغرافيا. اهتم بالآثار، ورغب في الاختصاص الجامعي. وخلال عمله مع السير فلندرز بتري في حفريات أثرية، أتيحت له الفرصة للذهاب إلى لندن وميونيخ لمتابعة علومه الجامعية، مستفيداً من مخزونه الثقافي ومعرفته التاريخية. سنة 1939 نال نقولا زيادة شهادة البكالوريوس في التاريخ من جامعة لندن، ثم عمل لثماني سنوات أستاذاً في الكلية العربية "القدس" وهو يعمل على أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي.

حين عاد إلى جامعة لندن للعمل للدكتوراه، خصصت له الدائرة في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية مشرفاً هو الدكتور رايس، فوجد نفسه يكتب رسالته بإشراف نفسه على نفسه، لأن المشرف لم يجتمع به سوى ثلاث مرات خلال السنتين، ولم يقرأ حرفاً من رسالته. العام 1949، التحق نقولا في دائرة التاريخ في الجامعة الأميركية في بيروت واستمر فيها حتى العام 1974، بعد بلوغه الخامسة والخمسين تقاعد من الجامعة الأميركية، وأشرف في جامعة القديس يوسف - بيروت، على رسائل الدكتوراه في التاريخ العربي، حتى العام 1992. بالإضافة إلى ذلك درس في الجامعة الأردنية "1976 - 1978" وعاد من عمان إلى بيروت، عاملاً في الجامعة اللبنانية محاضراً ومشرفاً، ومشاركاً في عدة مؤتمرات عالمية. وكتب في الصحف والمجلات.

له أكثر من 51 مؤلفاً مطبوعاً ومنها: "رواد الشرق العربي في العصور، 1943، وثبة العرب 1945، العالم القديم 1942، صور من التاريخ العربي 1946، صور أوروبية، 1947، عالم العصور الوسطى في أوروبا، 1947، قمم من الفكر العربي الإسلامي، 1987، الجغرافيا والرحلات عند العرب، 1987، شاميات: دراسات في الحضارة والتاريخ 1989، إفريقيات: دراسات في المغرب العربي والسودان العربي 1991، لبنانيات: تاريخ وصور، 1992، أيامي: سيرة ذاتية 1992، مشرقيات: في حالات التجارة والفكر 1998، في سبيل البحث عن اللّه: 2000، المسيحية والعرب 2001".

ولم ينخرط نقولا زيادة في أية منظمات أو تيارات سياسية، مثل معظم الفلسطينيين في الخارج، ولم تشغله السياسة يوماً عن حياته الفكرية والثقافية والتربوية، إلا أن مذكراته "أيامي.. سيرة ذاتية"، التي أصدرها عام 1992، حفلت بالكثير من أخبار رجال السياسة، فضلاً عن رجال الفكر والأدب والثقافة.

الكتاب الصادر عن دار قدمس، التي تهتم بكتب التاريخ القديم والترجمات الغربية، يقع في ستة فصول، ويبدأ الكاتب حديثه بتعريفنا بالإطار الجغرافي والتاريخي الذي يشكل الوعاء الزماني والمكاني لنشأة المسيحية، فمن حيث الإطار التاريخي يتحدث الكاتب عن العمق الحضاري الممتد لآلاف السنين قبل المسيحية في هذه الرقعة الجغرافية التي تضم نشوء الحضارات البشرية في حوض النيل وفي حوض الرافدين، والشعوب التي ساهمت في إغناء تلك الحضارات وتطويرها وتقديمها للبشرية، وصولاً إلى المرحلة الإغريقية والسلوقية والرومانية التي تم فيها الاحتكاك بين الشعوب الأصيلة في المنطقة، وبين الوافدين من أوروبا سواء أكانوا من الإغريق أم من الرومان.

الفصل الثاني: وتحت عنوان "المسيحية حتى عام 300 ميلادي" يسرد لنا زيادة الدور التاريخي للقدس ودمشق في انتشار المسيحية، معرجاً على الحواريين وكتبة الأناجيل، والاضطهادات التي تعرض لها المسيحيون الأوائل، حتى القرن الرابع للميلاد، حين اعترف الإمبراطور الروماني قسطنطين بالمسيحية كدين في الإمبراطورية سنة 313 م ثم اعتبرها ذات مكانة خاصة عام 324 م، ومنذ عام 380 م تصبح المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية.

في الفصل الثالث: وتحت عنوان "القرن الرابع الميلادي": يعرض زيادة لمجمع "نيقيا" الكنسي والذي نتج عنه خلافات لاهوتية بقيت حتى يومنا هذا، ويتوقف عند رجال مؤثرين بل صانعين لتاريخ الكنيسة مثل: "آريوس، يوحنا الذهبي الفم، إفرام، مارون، سمعان، نسطوريوس، كيرللس، يعقوب البرادعي.. الخ"، ويشير إلى أن الخلافات اللاهوتية كانت لها أرضية ثقافية تمثلت بالصراع بين الثقافة اليونانية من جهة والثقافة الآرامية من جهة أخرى، وحينما امتد النساطرة شرقاً نحو بلاد فارس لقوا تسامحاً وحرية عبادة منحهم إياها الفرس الساسانيون، أكثر مما كانوا يلقونه لدى الرومان. كما يعرف الرهبنة ويؤرخ للرهبانيات الأولى في مصر وبلاد الشام، مشيراً إلى أن حالة الرهبنة كان معمولاً بها قبل المسيحية في سوريا.

الفصل الرابع: "المسيحية حتى الفتوحات الإسلامية" يستعرض زيادة الخلافات العقائدية التي طغت على الكنيسة في القرنين الخامس والسادس ميلادي، وتسلط بيزنطة على المسيحيين الخارجين عن مجمع نيقيا وإلزامهم بالتصور الروماني للعقيدة، خاصة في سوريا ومصر هذه الأرضية الثقافية من التميز والاختلاف، جعلت المسيحيين من سكان البلاد الأصليين في الشام والعراق ومصر يرحبون بالفتح العربي الإسلامي لأنهم اعتبروا هذا الفتح تحريراً لهم من النير البيزنطي القاسي مذهبياً ولغة وعنصراً كما حصل مع الغساسنة والأقباط وبعض القبائل العربية مثل تغلب وتنوخ وسواها.

الفصل الخامس: "من دولة الخلافة إلى الحروب الصليبية" ويعرض نقولا زيادة بتفصيل وموضوعية إلى أوضاع المسيحيين في دولة الخلافة فيستعرض وضع الأقباط في مصر، ثم اليعاقبة، ثم النساطرة، ثم الموارنة، وهو يوضح كيف أن هذه الفئات تمتعت بحرية واسعة، وكان لها بطاركتها وكنائسها وأديرتها، ويتحدث عن الدور الكبير الذي قام به العلماء من أصول مسيحية في تطوير النهضة العلمية والثقافية وبخاصة أيام بيت الحكمة في بغداد، ودور هؤلاء العلماء في النقل والترجمة والتأليف، مما يدعو إلى الفخر والإعجاب، ثم يتحدث الكاتب عن الآثار المدمرة التي تركتها حروب الفرنجة في المشرق العربي، تلك الحروب التي تستند أساساً إلى موقف أوروبي فيه الصلف والغرور ورفض الآخر، موقف يعتبر الأوروبيون فيه أنفسهم قيمين على تراث المسيح وأوصياء على مسيحيي العالم.

الفصل السادس: "وكانت المشكلة" يتحدث زيادة عن محاولات التبشير الأوروبية في أوساط المسيحيين الشرقيين سواء أكانت حملات التبشير كاثوليكية أم بروتستانتية، وما أحدثه ذلك من آثار سلبية لدى المسيحيين العرب من نواح مختلفة، وذلك حتى العهد العثماني. كما يقص علينا أحد فصول تلك الهوية الشريدة، فالممارسات التي تمت في التاريخ العثماني، رهنت شقّا من الكنيسة العربية للخارج، لا تزال تبعاتها جليّة، فلما حكم السّلطان سليم بلاد الشام ومصر، اعتمد تنظيماً غريباً مع الطوائف المسيحية. جعل الكنائس التي تقبل بالطبيعة الواحدة تحت نفوذ البطريرك الأرمني. "فكان الأقباط واليعاقبة والسّريان والنّساطرة" تحت الغريغوريين وتابعين للبطريرك الأرمني. أما بطريركية أنطاكية الأرثوذكسية، ومثلها بطريركية القدس فكانتا تحت نفوذ بطريركية القسطنطينية. وكان من أثر هذا أن اغتنم البطريرك فرصة الإمرة فبسط سيطرته على سوريا وفلسطين، أي على البطريركيتين الأنطاكية والمقدسية. ولكن الخطأ الذي تولّد عن ذلك -والذي خلف تشوّها في السّلطة الكهنوتية، تواصل حتى يومنا هذا- أن تولى سدّة البطريركية المقدسيّة "جرمانوس اليوناني" فأفاد من سلطان البطريرك القسطنطيني اليوناني وتأييد الدولة له. فكان جرمانوس، بعد أن تسنّم كرسي البطريركية، كلما توفي أحد من الأساقفة العرب إلا وسّام مكانه يونانياً. فأقصى الوطنيين عن المناصب العليا، حتى حصر البطريركية والأسقفية في العنصر اليوناني، فأصبح جميع الأساقفة من بني جنسه. وأهم ما فعله في ذلك، تنظيم "أخوية القبر المقدّس" التي قصر عضويتها على اليونان، مما صدّ أي عربي عن الالتحاق بها، ومن هنا ظلّت عضوية الأخوية لليونان، وما يزال الأمر إلى الآن.

ينهي زيادة مؤلفه الثري بالعبارة التالية: "فأنا العربي المسيحي الأرثوذوكسي عربي في ثقافته.. البسيط منها والمعقد، والحديث منها.. عربي في نظرتي إلى الأمور أي أنني أراها من منظار عربي أداته وآلته هي اللغة العربية، ومن هنا كنت أشعر ببعض الفرق بيني أنا المسيحي العربي وبين المسيحي الأوروبي.. كان الفاصل بيني وبينه وقبل كل شيء اللغة.

زكـــريا تامـــر:
الفايسبوك وسيلتي للمشاركة في الثورة

■ أجرى الحوار من باريس زياد ماجد

ولد زكريا تامر في دمشق عام 1931، وعاش في حاراتها الشعبية حيث عمل منذ سن مبكّرة في الحدادة وفي مهن يدويّة عرّفته مسالكها بمجتمعه وبالناس من حوله وظروفهم و"عقليّاتهم" المختلفة. في العام 1957، قرّر الانخراط في عالم الكتابة، واختار القصّة القصيرة مذهباً أدبياً له. وابتداءً من العام 1960 ولغاية العام 1978، ثم بين العامين 1994 و2005، صدرت لتامر مجموعات قصصية عدة منها "صهيل الجواد الأبيض" و"ربيع في الرماد" و"الرعد" و"دمشق الحرائق"، و"النمور في اليوم العاشر" و"نداء نوح" و"سنضحك" و"الحصرم" و"تكسير ركب" و"القنفذ". وصدرت له أعمال قصصية للأطفال، أبرزها "لماذا سكت النهر؟" و"قالت الوردة للسنونو".

عالجت معظم قصص تامر قضايا اجتماعية وسياسية (وإنسانية) ذات صلة بالواقعين السوري والعربي بأسلوب سرديّ أخّاذ ولغة ساخرة ومخيّلة مدهشة في مخزونها، ومن غير تقليد. ولعل وصف الشاعر محمد الماغوط له يختصر جانباً من جوانب سيرته المستمرة، إذ يقول عنه: "بدأ زكريا تامر حياته حداداً شرساً في معمل، وعندما انطلق من حي البحصة في دمشق بلفافته وسعاله المعهودين ليصبح كاتباً، لم يتخلّ عن مهنته الأصلية، بل بقي حداداً وشرساً ولكن في وطنٍ من الفخار، لم يترك فيه شيئاً قائماً إلا حطّمه، ولم يقف في وجهه شيء سوى القبور والسجون لأنها بحماية جيدة!"..

في كانون الثاني الماضي، قرّر زكريا تامر، المقيم في أوكسفورد في بريطانيا منذ العام 1981، خوض غمار "الفايسبوك"، فأنشأ صفحة "المهماز" وراح ينشر فيها يومياً نصوصاً تستكمل مسيرته الأدبية بأبعادها السياسية والثقافية، مواكباً الثورة السورية على طريقته البديعة.

| عبّرت كتاباتك، وقصصك القصيرة، بأسلوبها الأدبي ولغتها والبعد الرمزي فيها عن مواقف واضحة من قضايا الحرية والعدالة والمساواة والسلطة والتسلّط، من دون وعظ أو "حِكَم" مباشرة. ولعلّك تعرف أن قصة "النمور في اليوم العاشر" أضحت، إضافة إلى كونها مادة دراسية في الكثير من المقرّرات التعليمية في المدارس في أكثر من بلد، عنواناً للبحث في مسائل القمع والترويض والمواطنة ومسألة التطبيع مع الاستكانة و"العادة". كيف وازنت في عملك بين المستوى الفني والالتزام الإنساني؟ ولماذا اخترت هذا المذهب الأدبي؟

| | من يرغب في ابتكار أي جديد في مجال العلم، ينبغي له أن يطلع على كل ما أنجزه العلماء من ابتكارات حتى يتمكن من إضافة ما هو جديد إذا كان من الخلاقين المبدعين.

وأزعم أني قبل أن أحاول الكتابة قرأت معظم ما تشتمل عليه المكتبة العربية من كتب مؤلفة أو مترجمة، ولم أقرأ الكتب الأدبية فقط بل قرأت كتباً متنوعة الموضوعات.. سياسية وفكرية واقتصادية وعسكرية. حتى الكتب ذات الموضوعات المتعلقة بالزراعة وشؤونها لم أهملها وحظيت بقدر كبير من اهتمامي. لكن قراءاتي كانت قراءة من يمتلك معدة سليمة قادرة على هضم كل ما يفد إليها من طعام وتحويله إلى مادة تقوي الجسم وتنميه، وكان ما قرأته هو الأرض الصخرية التي انطلقت منها كي أكتب على الورق رؤيتي للإنسان والحياة محاولاً التعبير عن صوتي الخاص لا أن أكون صدى لأصوات الآخرين معتقداً أن الأديب حين يكون مجرد صدى، يفقد مسوغ وجوده كأديب، ويصبح استمراره في الكتابة نوعاً من جرأة غير مستحسنة لا تخلو من وقاحة وغباوة.

وعندما بدأت كتابة القصص لم أحاول التقليد أو الخضوع لأساليب سائدة. كتبت ما أطمح إلى قوله مؤمناً بأن ما يُظن بأنه غير واقعي هو الواقعي بحق. وكنت حين أكتب قصة ما، أتمتع بحرية أفتقدها في عالم الحياة اليومية، فتحاول قصصي ألا تعترف بأية حدود بين مختلف العوالم، فلا حدود بين الموت والحياة والوهم والتخيل والحلم والخيال والواقع الشديد القسوة. وهذا الإلغاء لتلك الحدود هو في رأيي من أهم ما حققته في قصصي لأنه الأصدق في تصوير الأعماق الخفية لتلك المخلوقات البشرية التي تعيش على سطح الأرض العربية.

| اكتشفنا بفرح منذ ستة أشهر، صفحة على الفايسبوك عنوانها "المهماز"، مخصّصة لكتاباتك المواكبة للثورة السورية ولربيع الحرية السوري. لماذا الفايسبوك؟ وكيف ترى تجربتك في هذا العالم الافتراضي - الواقعي حيث تتفاعل مباشرة مع القرّاء - الأصدقاء ومع الأحداث والصور، وحيث تصلك التعليقات و"اللايكات" وتردّ عليها أحياناً؟

| | ما إن بدأ الكومبيوتر في الانتشار عربياً حتى بادرت إلى استخدامه، ولكن استخدامي له كان محدوداً، واقتصر على الكتابة وقراءة الجرائد والمجلات والبحث عن معلومات والإطلاع على الجديد من الأخبار. لم أقترب من المدونات أو الفايسبوك أو تويتر بل نفرت منها بسبب الاستخدام العربي لها إذ حولها إلى تبادل للهراء والتمادي في التفاهة الصلفة.

وعندما خرج السوريون إلى الشوارع مطالبين بالحرية والتغيير لم تكن لي آنذاك أية صلة بأي وسيلة إعلامية، ولم تتصل بي جريدة أو مجلة أو إذاعة أو محطة تلفزيونية لمعرفة رأيي وموقفي مما يحدث، وتجاهلني مدمنو العرائض، ولم تعرض علي أية عريضة حتى أني اقتنعت أن ثمة تنفيذاً دقيقاً لمخطط مدروس غايته إلصاق أشخاص معينين بالثورة السورية، وليست غايته التعريف بمواقف الشخصيات السورية الأساسية في مجالات الثقافة والأدب والفن والسياسة.

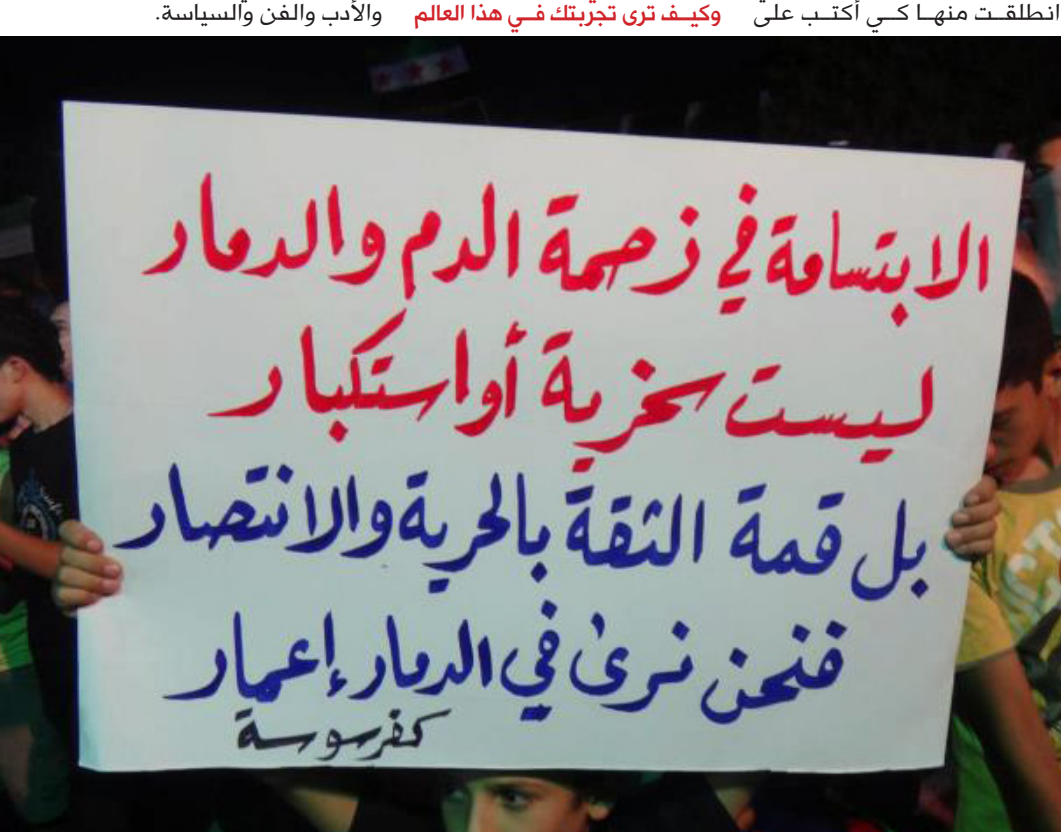

باختصار وجدت نفسي محروماً من كل فرصة للتعبير عن موقفي المؤيد للثورة السورية، وهو موقف بديهي بالنسبة إلي وامتداد لما كتبته طوال خمسين سنة، فلم أجد مهرباً من اللجوء إلى الفايسبوك، وتلاءمت معه بسرعة إلا أني لم أستخدمه للحوار والنقاش بل استخدمته كوسيلة لنشر ما أكتبه من نصوص سواء كان قصيراً أم طويلاً كأني أتعامل مع جريدة أو مجلة. وأشعر الآن في صباح كل يوم بأني أصدر جريدتي اليومية الصغيرة التي أنشر فيها ما أشاء من دون رقابة أي رقيب، ومن دون أن تستغلني أية جهة من الجهات.

ويجب الاعتراف بأن الفايسبوك نجح في مباغتتي، فقد جعلني أحياناً أشعر أنه أرض ليست أرضي، وأني شيخ وقور ذو عمامة ولحية مدعو إلى سهرة صاخبة ماجنة ملأى بالسكارى ومدمني المخدرات، فثمة صفحات مغرقة في تفاهتها وسوقيتها وابتذالها وتحظى بالرواج الهائل والمعجبين، ولكن ثمة صفحات أخرى جادة جديرة بالاحترام والتقدير تعبر عن الوجه الجميل الوضاء للإنسان العربي. الفايسبوك عرفني إلى أصدقاء جدد رائعين أعتز بهم، ويساعدني حالياً على معرفة الناس وآرائهم ومشاعرهم، وتلك المعرفة لا غنى عنها لأي كاتب، وهي الزاد والوقود. أما التعليقات حول ما أكتبه، فلا يزال معظمها متسرعاً يجلب إلي الإحساس بأني في مستشفى مجانين حقيقي، فمن السهل القول لك إنك عبقري زمانك، ومن السهل أيضاً القول لك إنك خائن بعت نفسك لقاء حفنة من الدولارات.

وثمة أمر يفرحني هو أن غالبية أصدقائي في صفحة " المهماز " هم من الشبان.

| ما الذي تثيره الثورة السورية فيك؟ هل هي مبعث للدهشة؟ وهل تغيّر علاقتك بسوريا وبناسِها؟

| | جوابي عن هذا السؤال قد يبدو متناقضاً، فالثورة السورية أدهشتني، ولكنها في الوقت نفسه لم تدهشني البتة، وهذا التناقض يرجع سببه إلى أني مؤمن بأنه لا وجود لمواطن سوري يؤيد هذه السلطة الغاشمة، ولكن كل مواطن سوري هو شخصان، شخص خفي يكره النظام المهيمن الكره الأعمى ويزدريه ويتمنى زواله السريع، وشخص آخر علني يؤيد النظام الحاكم ويمدحه ويطيع كل توجيهاته. وقد نجحت الثورة في توحيد هذين الشخصين في شخص واحد شديد الصلابة، متأهب للموت في سبيل ما يؤمن به، ولا مطلب له إلا الحرية والخلاص من الاستبداد. ومن المؤكد أن علاقتي بسوريا سيطرأ عليها بعض التبدل غير المرئي بعد أن أثبت الشعب السوري بتضحياته أنه شعب خارق لا يلام المبدع إذا تفاخر بانتمائه إليه.

| قلتَ لي منذ مدّة إن النمور تبقى نموراً. هل تظنّ أن يوماً هو الحادي عشر، يمكن أن يُضاف إلى أيام النمور العشرة؟

| | يخيل إلي أن إضافة أي يوم جديد إلى الأيام العشرة هو إضعاف للقصة وشرح لها يسيء إليها فنياً. فما سيقال في اليوم الحادي عشر قيل في الأيام العشرة حين اختير النمر بطلاً للقصة، والنمر في عالم السيرك هو المفترس الذي لا يروض، وكل نجاح في ترويضه هو نجاح موقت.

| هل ترغب في العودة للعيش في دمشق إن سقط الاستبداد؟ وهل تخشى صعود تيارات الإسلام السياسي؟

| | السبب الظاهر لتركي دمشق هو منعي من النشر داخل سوريا وخارجها، ولكن السبب الأعمق والأساسي هو أن معركة دامية نشبت قرب بيتي بين رجال الاستخبارات وعضو مطلوب من الإخوان المسلمين، وعندما نفدت ذخيرته، أقدم على تفجير جسده بقنبلتين يدويتين، وظلت أشلاؤه أكثر من ساعتين مرمية على أرض الشارع، ورأيت أطفالاً يلعبون بقطع اللحم الممزق ويتقاذفونها بأقدامهم، عندها شعرت أني أعيش في عالم أعجز عن فهمه، ولا صلة لي به، وأفضل ما أفعله هو الفرار منه. وهذا ما أقدمت عليه غير آسف أو نادم.

ليس مهماً أن أبقى في أكسفورد أو أعود إلى دمشق. ما هو مهم هو أن تتحرر سوريا من هذا النظام الوحشي الذي شوه المخلوقات البشرية وأفسدها فساداً لا نظير له.

أما التيارات الإسلامية، فلا أخشى صعودها ما دام الناس قد اختاروها، فإذا أخطأوا في الاختيار، فهم الذين سيدفعون ثمن خطئهم.

| ما الذي تتمنّاه في المقبل من الأيام؟

| | كنت دائماً رجلاً يعيش بغير أمنيات، ويكتفي بأن يعيش اليوم تلو اليوم من دون تخطيط، ولكني اليوم وأنا في الحادي والثمانين من العمر أتمنى أن يتاح لسوريا أن تتحرر من الاستبداد والرعب اللذين تحكما بها طوال خمسين سنة. أتمنى قبل رحيلي أن أقعد في مقهى دمشقي وأشتم بصوت عال كل المسؤولين السوريين مسؤولاً مسؤولاً من دون أن أشعر بالخوف أو أخشى الاعتقال.

من مقالات زكريا تامر في موقعه الالكتروني "مهماز"

رئيسنا المقبل

الشعب السوري غاضب يطالب رئيسه بالتنحي والرحيل، والسيد الرئيس راغب في تقديم استقالته والاختفاء، لكن تأخرّه يرجع إلى أسباب إنسانية، فابنه البالغ من العمر تسع سنوات عومل منذ أن كان يحبو على أنه سيصبح رئيساً، وسيعدّل الدستور حتى يتاح له أن يتسلم الرئاسة في سن العاشرة، ولو قيل للطفل اليوم إنه لن يصبح رئيساً لبكى وصاح: جدي كان رئيساً وأبي كان رئيساً. ومن المؤكد أنه سيصاب بعقد نفسية لا علاج لها، وهذا أمر لا يقبله أي إنسان شريف.

عن موقع جدار

كي لا يسرق الاستبداد مستقبل سوريا أيضاً

■ محمد العطار

في مقطع فيديو مسرّب من درعا، يظهر طفل صغير لا يتجاوز العاشرة من عمره وهو يرثي أخته الصغيرة المسجاة على الأرض، كملاكٍ نائم، محوطة بعددٍ من النسوة. يغنّي الأخ باكياً "جنة يا وطنّا". تبكي النسوة بينما يغنّي هو عن وطن "ناره جنة"، ثم تغلبه الدموع ويطلق صرخة طويلة ويستسلم للأسى والبكاء.

ماذا أكتب عن حال سوريا اليوم؟ هل هناك ما لم يُقَل بعد عن المقتلة المستمرة؟ هل هناك ما لم يناقش بعد عن الوضع السوري الراهن في ضوء التعقيدات السياسية والملفات الإقليمية والدولية المتشابكة؟ في ظل مشاعر الخواء والعجز المقيت، أشعر بأن الكتابة يجب أن تكون عن صرخة الألم التي تغلب الأغنية عند ذلك الطفل المفجوع، عن الحزن العميق الذي قد يجرّد كل نصرٍ من قيمته.

لم يعد حاضر سوريا هو فقط ما يؤرق السوريين. إنه المستقبل الذي بتنا نخشى أن يُسرَق منا أيضاً. لا أقوى على تصور تراجيديا أعظم من تلك التي تقول إن نظاما مستبدا سرق ماضي البلاد وحاضرها، سيسرق مستقبلها أيضاً.

سيرحل النظام لا محالة، الآن أو بعد قليل. هكذا يخبرنا التاريخ، وهكذا تخبرنا إرادة شعب مذهل قاوم كل أشكال التنكيل عبر أكثر من سنة ونصف سنة. يبقى الرهان أن لا يخطف المستبد مستقبل البلد معه عند رحيله. يبقى أن لا نسمح له بإمرار شعاره الأثير: "نحرق البلد". يجب أن لا يسرق النظام الشمس حين يسقط. يجب أن لا يسرق مستقبلنا.

أنتمي إلى جيل تشكّل وعيه على هذا الاستبداد. طوال عقود، ردّدنا في "مداجن" طلائع البعث والشبيبة: "قائدنا إلى الأبد... الأمين حافظ الأسد"، ثم استُبدل حافظ ببشار. تغيّرت الأسماء وبقي الأبد يحكم حاضرنا. ترعرع جيلنا وهو يرى الأجيال التي سبقته محبطة ومهزومة. استسلمت للاستبداد وهجرت أحلامها. هكذا يُسرَق الماضي، ويُسرَق كذلك حين تُسرَق ذاكرة بلدٍ بأكمله، وحين تُختزل هذه الذاكرة باسم شخص وبإنجازاته فقط، وحين يُكنى البلد باسمه. بينما يُسرَق الحاضر تحت وطأة التنكيل، والحل الأمني العسكري في مواجهة مطالب مشروعة. نتفقد أصدقاءنا وأحبتنا كل ليلة، لنرى من اعتُقل ومن قُتل. الحاضر هو لحظة المخاض العسير، طريقٌ وعرٌ وشاقّ. الحاضر هو درب الآلام الذي لا بد لنا من اجتيازه.

بقي لنا المستقبل إذاً. ولادتنا الثانية تتوّج هناك. المستقبل هو ما يجب عدم السماح بسرقته. ألا يكفي أن السجّان أسر الماضي والحاضر؟ كيف يمكنه أن يسرق المستقبل؟

تأتي الإجابة المريرة من كرم الزيتون، والحولة والقبير ودوما وزملكا، وقبلها وبعدها. المجازر ليست هي فعل القتل بدم بارد فحسب، ولا صور الجرّافات القاسية وهي تردم أكفاناً بيضاء متجاورة تحت التراب. المجازر هي أيضاً جروحٌ غائرة لا تندمل، وهي منهلٌ خصب للخوف والانغلاق والغضب المجنون. المجازر هي فعلٌ ممنهج وخسيس لقطع الطريق أمام عودة محتملة لفريق من السوريين إلى المطالبة بنزع عباءة الأبد. يُسرَق المستقبل عبر سياسات العنف المنظم والموزّع بقصد وخبرة على المناطق، بقصد ترسيخ معادلة الأكثرية والأقليات. يُسرَق المستقبل بتأجيج الطائفية وبالعمل على سحق ما بقي من نسيج مجتمعي ظل صامداً عبر عقود من الاستبداد.

ألا يزال ممكناً قطع الطريق أمام سرقة المستقبل؟ منذ أيام قصفت قدسيا. مصدر القصف كان أحياء الموالين المجاورة لها والمحسوبة على طائفة معينة. القاتل يعي تماماً ما يفعل. عينه على المستقبل. تُقصَف قدسيا التي احتضنت أبناء الطبقة المتوسطة الدمشقية المهزومة، بعدما تأكلت طبقتهم رويداً رويداً. تُقصَف قدسيا الشراكس والخليط السوري البديع، قدسيا التي احتضنت آلاف اللاجئين العراقيين، قدسيا التي تبعد عشرين دقيقة بالسيارة عن وسط دمشق! أتحدث إلى صديقي عبر الـ"سكايب"، فيأتيني صوت قذائف الهاون المتساقطة عشوائياً أقوى من صوته المتقطع. ثم ينقطع الاتصال. أحدّثه في اليوم التالي ليخبرني أنه وجد نفسه مضطراً للنزوح مع عائلته التي كانت قد نزحت قبلاً من حمص: "إلى أين ننزح في المرة المقبلة؟". لم أجبه. كنت أتمنى أن ينقطع الاتصال هذه المرة كي أهرب من عناء الإجابة. عدد من أقربائه قُتل في حمص منذ شهور. غلبه الدمع: "والله لن أسكت على حقي ولو بعد مئة عام". وددت القول: "الأعوام المقبلة كلها لك ولنا. لن نمضيها غضباً وانتقاماً." لكني صمتُ مرة أخرى. هل تعلمون كيف يُسرَق مستقبل بلد؟

بعد أيام قليلة تحدثتُ مع أحد أصدقاء الطفولة وهو من زملكا، بعد المجزرة المروعة هناك. هل تعرفون زملكا؟ هل تعرفون غوطة دمشق الشرقية؟ أبناء جيلي يحفظون هذه الجملة عن ظهر قلب: تحيط الغوطة بمدينة دمشق كما يحيط السوار بمعصم اليد. هذا تقريباً كل ما علّمونا إياه عن الغوطة في مناهجنا البليدة. بعيداً من كتب المدرسة كبرنا ونحن نرى الغوطة تتأكل رويداً رويداً. الأحزمة الخضراء تختفي والبساتين تتحول معامل وورشات قميئة، من الغوطة يلفها الإهمال ويجتاحها الفقر. أسأل صديقي: هل فقدت أحداً؟ يجيبني بصوتٍ هادئ: "فقدت اثنين من أولاد عمومي، نحن فخورون". للأمانة، رغبتُ أن أسمع الأسى في صوته. هناك حزن يجب عدم كبته. قلتُ له: "يقلقني صوتك المحايد جداً. هل أنت بخير؟". يجيبني: "أنا بأفضل حال، أنا ابن عم الشهداء، لن أموت إلا مثلهم شهيداً". وددتُ القول: لكن الموت مفجع! يجب أن يتاح لنا الوقت لنحزن. يجب ألا نحتفل بالموت أياً يكن نبل مقاصده. لكني صمتُ. هل تعرفون كيف يمكن أن يُسرَق المستقبل؟

هل هي مهمة مستحيلة اليوم أن نحمي المستقبل من سرقة الطاغية المتهالك؟ نجد أنفسنا اليوم أمام جبل لا بد من تسلقه كي نفعل ذلك. حمايتهُ ليست ترفاً، بل هي حماية كل ما قامت من أجله الثورة. حماية المستقبل تعني أيضاً أننا سنحرر الماضي من بين يدي الطاغية وسنحرر ذاكرة السوريين أخيراً.

يتحدث الأب باولو الذي أرغم على مغادرة سوريا، عن رجلٍ ذي حظوة في مدينة القصير دفن بيديه اثنين من أولاده، قتلهما النظام، لكنه كان مصرّاً في كل مرة يقود تشييعاً أو تظاهرة، على ترديد "الشعب السوري واحد". هكذا نتسلق الجبل الشاهق. بالإصرار على تغليب "الشعب السوري واحد" على "الأسد أو نحرق البلد". نناضل الآن من أجل أن تظل الأغنية أبقى أثراً من طعم الألم في فم الطفل الدرعاوي المكلوم بفقدان أخته. من أجل أن نتذكر أن قيد المستبد يشمل المناطق التي ينصب فيها مدافعه، تماماً كما يشمل المناطق التي ترزح تحت القصف، كلتاهما بحاجة للحرية وكلتاهما تعيش في الأسر. قد يبدو هذا جهداً مضنياً (وهو كذلك)، وقد يبدو سبيلاً طوباوياً (ولم لا؟)، لكن واقع الحال يخبرنا بأن لا سبيل غيره من أجل منع المستبد من أن يأخذ المستقبل معه عندما يسقط.

نشر في ملحق النهار اللبنانية 7 / 7 / 2012

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (15365)

دمشق: 401
ريف دمشق: 1776
حمص: 5380
حلب: 667
حماه: 1831
اللاذقية: 328
طرطوس: 36
درعا: 1546
دير الزور: 857
الحسكة: 102
القنيطرة: 22
الرقة: 59
ادلب: 2349
السويداء: 11

1408 عدد العسكريين
13957 عدد المدنيين
725 عدد الإناث
725 عدد الأطفال الإناث
1046 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 14 / 7 / 2012
http://vdc-sy.or